

الفصل الثاني الحرف والصناعات التقليدية بين النشأة والتطور

تمهيد:-

إن الذي دفع الدارسة إلى كتابة هذه المقدمة التاريخية ان تعرف العلاقة الوثيقة التي تصل بين الأنثروبولوجيا وعلم التاريخ ، فإن الظاهرة الاجتماعية لا تولد من فراغ ، فإذا كانت الظاهرة الاجتماعية الآن هي مجال اهتمام الأنثروبولوجيا فإن تفسيرها وتحليلها يتطلب إدراك حذورها وأصولها ، وهذا هو موضوع علم التاريخ ، وإذا كان هذا الربط ضروريًا في دراسة ظواهر الأنثروبولوجيا فإنه أكثر ضرورة في دراسة الحرف والصناعات التقليدية ولا يستطيع أحد أن ينكر أن الصناعات الصغيرة والحرفية في مصر قد احتلت منزلة رفيعة منذ أقدم العصور وأنها قد خلفت وراءها آثارًا متعددة في الصناعات .

سوف تعرض في هذا الفصل مراحل التطور التاريخي للحرف والصناعات التقليدية ونعرض من هذه الصناعات صناعة (الفخار - النسيج - الزجاج الجلود - المعادن) وهي الصناعات التي لها أهمية في مجال السياحة مع معرفة الظروف الاجتماعية والاقتصادية للحرفيين التي من خلال عرضها التاريخي تبرز لنا أهمية الحرف كوسيلة تتغلب بها على مشكلات البطالة والفقر . ولا تزال الجهود المبذولة في هذا الصدد تقوم بدور فعال في مصر لتنمية هذه الصناعات حتى تتواكب مع متطلبات السياحة الخارجية والداخلية ، وقد ساعد انتشار منتجات الحرف على إحياء تذوق التراث الذي كاد يضيع معالمه ، بعد عمليات الإغراق الناجمة عن استيراد التحف الصينية المصنعة بالجملة تحت مظلة العولة، بل إن هذه المنتجات التراثية قد وجدت طريقها إلى الأسواق الأوربية والآسيوية في المحافل العالمية .

ومع التطور التاريخي للمجتمع المصري تعايش النظام الحربي مع الأنشطة الفرعية الأخرى حتى صار جزءًا لا يتجزأ من ثقافة أي مجتمع تقليدي، وقبل الثورة الصناعية كان النظام الحرفي هو الدعامة الاقتصادية الرئيسية التي تلي احتياجات الأفراد وتفتح لهم مجالات العمل وخلال الحقب التاريخية المتعاقبة تعرض النظام الحربي لمؤثرات خارجية تتفاوت قوتها من مجتمع إنساني إلى آخر كما تتفاوت أيضًا وفقًا للمتغيرات السياسية والاقتصادية والعملية داخل المجتمع الواحد .

ومع ظهور السياحة في العصر الحديث وإقبال السائحين على الحرف والصناعات التقليدية كتحفة فنية وهدايا تذكارية من البلد المضيف، التي تحمل في طياتها ثقافة هذا البلد وراثته ، وقد دخلت على هذه المنتجات التكنولوجيا العصرية حتى تجمع بين عراقة القديم وتكنولوجيا الحداثة . وذلك لمواكبة هذا العصر والعمل على تطور السياحة المصرية لما تحمله مصر من فنون وابتكارات وإبداعات حرفية لها معان تاريخية .

التطور التاريخي للحرف والصناعات التقليدية

أولاً: صناعة الفخار:-

تعريف الفخار في المعاجم العربية :

الفخار هو أوان تصنع من الطين ثم تحرق . والحزف: ما صنع من طين وشوى بالنار فصار فخاراً ، ثم يدهن بالجليز، ثم يحرق للمرة الثانية .

وفي المسباح المنير: كان يعني بالفخار الطين المعمول آنية فإذا شوى فهو فخار .

والحزف: الطين المشوى فإذا دهن بالجليز وشوى مرة أخرى فهو خزف. (١)

التطور التاريخي لحرفة صناعة الفخار:-

العصر الفرعوني :- بدأت الحضارة في مصر منذ عصور ما قبل التاريخ اعتبر

المصريون القدماء منذ أواخر العصر الحجري القديم (١٠ آلاف عام قبل الميلاد) بأنهم أمة قائمة بذاتها وأطلقوا على أنفسهم أهل مصر أو ناس الأرض. (٢)

وليس من قبيل التعسف التاريخي أن نعتبر مصر هي رائدة هذه الحرفة عبر التاريخ

الإنساني الممتد ، لذا فلا غرابة أن يبدأ المصري القديم كمنطلق للتطور الزمني لحرفة صناعة الفخار كواحدة من المع حرف ذلك العصر الذي تميز بالمهارة الفائقة وارتقاء الحس الجمالي من تنوع في الأشكال والأساط والزخارف .

عرف المصريون القدماء الفخار والخزف منذ عصور ما قبل التاريخ أشكالاً

متنوعة من الأواني الفخارية ، وقد استخدموه في صناعة أواني حفظ الماء والنبذ والزيت، والحبوب . كما صنعت منه بعض التماثم والعقود ويلاطات صغيرة ملونة ، وعرفوا الخزارف البارزة بالطينات الملونة والزخارف من فوق الطلاء. (٣)

وقد تميز الفنان المصري بصنع إناء من الخزف المزخرف يمثل نمونجاً من

الأطباق التي شاع وضعها في المقابر أثناء الأسرة ١٨ ، قاع الإناء يمثل حوضاً أو بركة تنمو فيها الأزهار وتسمح فيها الأسماك ، وفي الوسط مربعات تمثل البركة حيث يظهر من

١ - عامر الوراكي ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر . الجزء الثاني ، الطبعة الأولى (للقاهرة) ، أصالة لرعاية الفنون التراثية والمعاصرة ، ٢٠٠٥ ، ص ١٤ .

2 - [http:// www.sis.eg](http://www.sis.eg) 2006/3/28

٣ - سامي رزق مناشي ، تاريخ الخزرفة - للصناعات الخزرفية والنسجية (للقاهرة) ، دار الشرق ، ١٩٩٩ ، ص ٩٨ .

جوانبها أشكال من زهور اللوتس ، وعلى الجانبين المتقابلين أسماك سادحة تمسك بفمها براعم زهرة اللوتس ، وعلى الجانبين الآخرين رسم متقن لأغصان بخيل مروحية الشكل ، وهذه العناصر كلها في حقيقتها رموز للميلاد والبعث (١)

كما يوجد إناء فخار صغير مصبوع باللونين الأحمر والأسود من مقبرة (ناكادا) ، وقد صنع هذا اللون الأسود في قمة الإناء من خلال أنه تعرض للنار وهو مغلوب رأساً على عقب ومسدود بالرماد ويسمح للهواء بالوصول إلى جسم الإناء ، كما وجدت زهرية فخارية من العصر (الأمراشي) لونه أحمر مع خطوط زخرفة بيضاء أفقية مائلة من عصر ما قبل الأسرات. (٢)

ومهر المصريون منذ أقدم العصور في صناعة الأواني الفخارية، وجعلوا ألوانها جميلة براقة ونقشوا عليها الرسوم والمناظر المختلفة ، وتدل صناعة تلك الأواني على الذوق الرفيع . كما تشير إلى ما بلغه الصانع المصري من جودة الإتقان والبراعة في الزخرفة والتلوين. (٣)

ومن فنون المصري القديم وعاء من الفخار مكتوب عليه اسم الملك (كام) من العصر ما قبل الأسرات الحديث وهو واحد من الحكام في عصر التوحيد حوالي عام (٣١٥٠ ق.م) وجد في مقبرة أبيدوس. (٤)

كما مهر الفنان المصري القديم في عمل الزهريات الفخارية ، فهناك زهرية من الفخار ذات سطح ناعم لامع تعود إلى الثقافة (البدارية) الألفية الخامسة قبل الميلاد ، وزهرية من الفخار مزينة بخطوط هندسية بيضاء ترجع إلى عصر ما قبل الأسرات ، وزهرية من الفخار من العصر الثاني الناقادي ، مصممة على شكل الصخور في العام (٣٤٠٠ ق.م). وزهرية فخارية مزينة بمناظر جميلة مثل المراكب ، وحيوانات وأشكال للإنسان ، منها امرأة ترقص وهي ترفع يديها على رأسها ، كما اكتشف في مقبرة الملك خاسيخموي

1- Francisco Jose Martin Valentin & other , Egypt Cradle of Civilization (Madrid , Prisma Industria Grafica S.A. , P 20 , 1992)

2- Cynl Aldred , Egypt to the end of the old Kingdom (London .Thames and Hudom Ltd, 1992, P 26) .

٣ - محمد مختار جمال الدين وآخرون ، مصر وحضارات العالم القديم ، (القاهرة ، أم القرى للطباعة ، ٢٠٠٦م ، ص ٥٧).

4 - A.J.Spencer , Early Egypt The Rise of Civilisation in The Nile Valley (London, the trustees trustees of the British Museum , , 1993.P 50)

(Khasekcmwy) إنشاء معطى بطققة رفقة من الذهب و... سلك من الذهب تنع
العصر الأسرات عام (٢٧٠٠ ق.م) من مقبرة أبيدوس. (١)

إن الفنان المصري قد ابتكر العديد من الأواني الفخارية التي لا خلاف عليها هنا
وابداعاً والتي احتلت العديد من المتاحف الفرعونية داخل مصر وخارجها عارضة الفن
المصري على أعلى مستوى . ومع تنوع الفنان الفرعوني إلا أن الفن الروماني كان
استكمالاً للفن الفرعوني في مصر.

وفي العصرين الروماني والإغريقي : نجد فخار العصر الإغريقي في مصر يتميز
بالساسة الزخرفية الرقيقة . بينما يتفرد فخار الحقبة الرومانية بعجبتته الحمراء
وزخارفه البارزة السوداء. (٢) جلب الإغريق إلى مصر في بداية العصر النبطي معهم عادة
عادة حرق جثث موتاهم ، وحفظ رماد هذه الجثث في أواني مخصصة لذلك . وكان
النموذج الأكثر شيوعاً ، القدر الواسعة ذات المقدضين والمسمى "هايبريا Hydria" وقد وحد
عدد كبير من هذه القدور في مقابر الإسكندرية الخاصة باليونانيين ، وقد كانت هذه القدور
تزخرف عادة بمناظر من الأساطير القديمة أو الزخارف الحيوانية والنباتية
أو الهندسية. (٣)

وفي العصر البيزنطي : نرى فخار العصر القبطي الذي شهد ازدهاراً كبيراً نظراً
لأن الرهبان كانوا يعملون بأيديهم في هذه الصناعة داخل الأماكن الخاصة بجوار الأديرة ،
وتحفل الفخاريات القبطية بالعديد من الزخارف الرمزية المرتبطة بالحس العقائدي
المسيحي والطابع الشرقي الذي ساد ثقافة مصر في هذه الآونة بعد تغلغل السمات الهلينية
القائمة على الشغف بالمرثي والميل لمحاكاته. (٤)

وقد برع المصري في صناعة الفخار منذ عصر الأسرات حيث صنع منه أدوات
الطبخ وحاولات لحفظ السوائل والحبوب على اختلاف أنواعها . ولقد تميز الفخار في
العصر القبطي بكثير من سمات فن العصر الروماني وتلك السمات كانت سائدة في مصر
القديمة قبل ذلك ، وكانت الأديرة والكنائس تستعمل الأواني الفخارية الكبيرة ، خصوصاً

1 - Ibid , P.27.

٢ - عامر الوراقى، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٦ .
3 - Francisco Jose Marlin Valente & other , Egypt Cradle of Civilization (Madrid , Prisma
Industrial Grafica S A., 1992 ,P. 60) .

٤ - عامر الوراقى ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٦

في حفظ النبيد الخاص بالقداس، وكانت معظم هذه الأواني مزخرفة بأشكال تمثل الحيوانات الأليفة أو المتوحشة والطيور والجحج والحمام والأسماك النبلية وغيرها من الأشكال الرمزية، بينما يحمل البعض الآخر صورة قديس أو راهب. (١)

ومن الملاحظ أن الفن القبطي والفن الروماني واليوناني انتشر في أنحاء العالم، وهذا يرجع للحروب والاستعمار الذي غزا حياة المجتمع وكان هذا الغزو يحمل في طياته العديد من الفن والإبداع، ثم جاء الإسلام بعقيدته وسنة -الرسول صلى الله عليه وسلم - حاملاً معه فنونه وزخرفته.

العصر الإسلامي : أما العصر الإسلامي فقد استطاع أن يضيف إلى هذه الحرفة كثيراً من عناصر الإبداع، على مستوى النمط الجمالي نفسه، وأيضاً على صعيد التطوير في توظيف الخامة لصالح شكل نفعي جديد، وما يعيننا هنا هو مدينة الفسطاط (مصر القديمة) والتي أمتنا أطلالها منذ وقت طويل بنماذج لفنون خزف الشرق الأدنى تضيء الفترة ما بين العصر القبطي والقرن السادس عشر فقد كان هذا مؤشراً على تطور هذا الفن في بلاد الشرق الأدنى وعلى الأخص العراق وإيران. ومن أبرز ما تميز به خزف الفسطاط هو النوع ذو البريق المعدني حتى أن البعض ذهب إلى أن جميع قطعه صنعت في مصر. (٢)

عرفت مصر في العصر الإسلامي صناعة الأواني الفخارية السوداء لاستخدامها في نقل الزئبق وفي تحضير الأدوية، وكذلك قوارير النفط التي شاع استعمالها خاصة في أوقات الحرب. (٣)

وقد كان للفن الإسلامي إضافات لكثير من عناصر الخلق والإبداع فاكتسب فن صناعة الفخار أفضاً وأشكالاً جديدة ويظهر ذلك في الكم الهائل من المنتحات الفخارية من أكواب وأباريق، وقدر وشمعدانات. (٤) حيث نرى أن الفخار الإسلامي لم يقتصر

١ - محمد يسري دعيبس، القاهرة سحر الشرق وعبق التاريخ - دراسة في أنثروبولوجيا السياحة (الإسكندرية، الملتقى المصري للإبداع والتنمية، ٢٠٠٤، ص ٧٣).

٢ - عمر الورباني، موسوعة الحرف التقليدية في مصر، مرجع سبق ذكره، ص ١٧.

٣ - السيد طه السيد أبو سديرة، للحرف والصناعات في مصر الإسلامية - من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي (٣٠- ٥٦٧هـ / ٦٤١ - ١١٧١م) (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١، ص ١١٧).

على الفخار وصناعاته بل إن سره العديدة من الألبان والاسمدة امامت التي تناسب حد...
الإنسان اليومية

كانت صناعة الفخار من الصناعات المصرية القديمة ، وفي العصر البيزنطي استخدم الصلصال في صناعة الأوعية الفخارية وغيرها على نطاق واسع فقد كانت صناعة الفخار منتشرة في الوجه القبلي ، وخاصة في الصعيد الأعلى والقرب من مدينة أسوان حيث هناك يعرف 'حبل الطبل' يعبر منه الفخار وكان المصريون صنعون من مادة الحقل الأريار والقلل المستخدمة في حفظ الماء (١)

سر صناعة الإبناء الفخاري خلال اربع مراحل منها عجن الطين، وتشكيل الإبناء ، ثم تحفيفه ، وأخيرًا حرقه . وقد تطورت صناعة الفخار من الصناعة البدوية إلى استخدام عنة الفخار التي استخدمت على نطاق واسع في صناعة الجرار الفخار الكبيرة خاصة في المصنع الملكي . وقد تعددت أنواع والوان الفخار فمنها الفخار البني والأسود والأحمر والرمادي والسنجابي والبرتقالي (٢)

وقد استطاع الصناع في مراكز صناعة الخزف في مصر أن يبتكروا أنواعًا جديدة من الخزف كالأطباق والصحون العميقة والمسطحة التي كانت تستخدم في الطعام ولا ريب أن المسلمين قد شجعوا هؤلاء الصناع حيث راد الإتصال والطلب على الأواني الخزفية التي وحدوا فيها عوضًا عن الأواني الذهبية والفضية التي أنكر الإسلام استعمالها ، فقد مهر المصريون في صناعة الخزف بأساليب متعددة وعرفوا الوقت المناسب لعمل أواني الخزف من السنة، وكما يذكر المقرئزي فإنه احتض شهر أمشير من الشهور القبطية بصناعة أواني الماء ، فإن ما عمل فيه من هذه الأواني الخزفية يبرد الماء في الصيف أكثر من تبريد ما يعمل في غيره من الشهور (٣)

ولعلنا نلاحظ أن العصر الفاطمي ظهرت فيه العديد من الابتكارات في الأواني الفخارية خاصة الرسوم المنقوشة والمزخرفة .

- ١ - السيد طه السيد أبو سديرة ، الحرف والصناعات في مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي (٢٠ - ٥٦٧هـ / ٦٤١ - ١١٧١م) ، مرجع سبق ذكره ، ص ١١١ - ١١٢
- ٢ - أنور عطية العدل ، دور الصناعات الصغيرة والحرفية في التنمية - دراسة ميدانية في بيئة المنتج الصغير في مركز ومدينة المنصورة (دار الكتب والوثائق القومية ، ١٩٩٣ ، ص ٢٢ - ٢٣) .
- ٣ - السيد طه السيد أبو سديرة ، الحرف والصناعات في مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي (٢٠ - ٥٦٧هـ / ٦٤١ - ١١٧١م) - مرجع سبق ذكره ، ص ١١٣ - ١١٤ .

وفي العصر الفاطمي - حاء العصر العاطمي وازدهرت معه صناعة حرف القيشاني (الفيانس) الذي كان يحمل رسوماً وزخارف رائعة بأشكال البشر والطيور والحيوانات والنباتات ، إلى جانب الأشكال الهندسية والخطوط الكوفية العنبة المتفنة . كما كانت تصور عليه بعض الأنشطة الاجتماعية اليومية ، وكانت تصنع في مصر الكنوس والقصور والأواني الطينية والأطباق وغيرها من المنتجات الفخارية . ثم تطلى بالوان تتغير لدى سطوع الضوء عليها ، ولقيت هذه الحرف اهتماماً في عهد الأيوبيين (١)

وفي العصر الفاطمي بلغ الخزف المصري درجة شديدة من الرقي وهو ينقسم إلى مجموعتين الأولى : ذات الرسوم المنقوشة تحت طلاء من لون واحد والثانية : ذات زخارف بالبريق المعدني (٢)

شهد العصر الفاطمي تطوراً ملحوظاً في أشكال الأواني وإنتاج القصور ذات الأحجام المتوسطة والجرار الكبير . كما انتشرت صناعة الأختام الفخارية لزخرفة الكحل وغير ذلك من الأغراض ، وكانت الإسكندرية تؤلف مراكز مهمة لصناعة النحف الفخارية الصغيرة المتخذة للزينة كأنواع الكنوس ذات الرسوم البارزة وكانت تغطى باللون الأصفر . والجزء الداخلي فكان لونه يميل إلى الأصفر . وهكذا أثبت الصانع المصري حرصه على أن يضفي على كل ما أخرجته يده جمالاً زخرفياً يبعث الدهشة والسرور . كما يشهد بحسن الدوق والمهارة (٣)

من المعروف أن الخزف ذا البريق المعدني قد احتفى من مصر نتيجة لعدة عوامل لعل أبرزها وأهمها هو حريق مدينة الفسطاط أثناء النزاع بين وزراء الدولة العاطمية رشاور وضرغام) ، مما أدى في النهاية إلى سقوط الدولة العاطمية والقضاء على أحر خلافة إسلامية والقضاء على الدوق العربي الصميم (٤)

ويعتبر العصر العاطمي هو العصر الذهبي لصناعة الفخار وخاصة هذا النوع المعروف بدي البريق المعدني ، فقد عشق الفاطميون الآداب والفنون . وشجعوا الصناع في

1 - [http:// www.sis.eg](http://www.sis.eg) 2006/3/28

٢ - عامر الوراق ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره . ص ١٧
٣ - السيد طه السيد أبو سنيرة ، للحرف والصناعات في مصر الإسلامية - مر الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي (٢٠ - ٥٦٧هـ / ٦٤١ - ١١٧١م) ، مرجع سبق ذكره . ص ص ١٢٠ - ١٢١
٤ - سعد ماجر محمد ، الفنون الإسلامية (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ ، ص ٤٩)

كل ميدان لابتكار أدوات الترفه والنعيم . وتشير المصادر إلى ا- ثمار صناعة الخزف بأنواعه المختلفة في كل من الفسطاط ثم القاهرة والإسكندرية والعيوم

وفي العصر الأيوبي : اقتبس فنانون العصر الأيوبي الرسم الحيوانية المحورة من الفن السلجوقي والذي تأثرت به كافة العنون والصناعات بالشرق الأدنى .^(١)

وفي العصر المملوكي : استمر إنتاج الخزف المصري ذي البريق المعدني حتى العهد المملوكي في القرن الرابع عشر ، في نهاية العصر المملوكي حدث تدهور شديد في صناعة الخزف والفخار إذا قورن بأول العصر نفسه^(٢)

وفي العصر العثماني : ومع بداية العهد العثماني كانت مصر تتعرض لعملية سطو كبرى تمثلت في تهجير معظم الحرفيين إلى الأستانة وعلى الرغم من هذا فقد وصلنا بعض من الخزف التركي الذي تأثر كثير بالخزف الإيراني والصيني في أساليب الزخرفة وبناء الأواني نفسها وقد تدهور الخزف التركي بعد ذلك في القرن الثامن عشر ، وعلى الرغم من هذا فإن مصر ظلت دائماً قادرة على تحديد عافيتها الإبداعية وإحياء ذاكرتها الحرفية والتاريخية^(٣)

أما العصر الحالي : يعتبر الفخار هو صناعة قديمة لا تختلف كثيراً عن الحاضر حيث يستخدم الصانع نفس الخامات التي كانوا يستخدمونها في الماضي ولكن الصانعين في الماضي كانوا يهتمون أكثر بالنواحي الفنية . فقد كان الفخار في القديم عليه أشكال واللوان وديكور ، مثلاً في مدينة الفسطاط كانوا يصنعون الأكواب والسلاطين والأطباق ويزينونها بالألوان ، ولكن من قرن ماضي أصنحت صناعة الفخار في بعض الحرف هي صناعة لجرده إشباع الاحتياجات الضرورية من أواني للشرب والأكل والطهي وتخزين الحبوب وخاصة في الصعيد .^(٤)

أما الآن فقد اشتهرت صناعة الفخار بأشكال فلكلورية صغيرة ، فيرسم مثلاً العلاح والقرية المصرية والعديد من الآثار المصرية . بالإضافة إلى الألوان المبهرة ، علاوة

١ - السيد طه السيد أبو منديرة ، الحرف والصناعات في مصر الإسلامية - من النتج العربي حتى نهاية العصر الفاطمي (٢٠ - ٥٦٧هـ / ٦٤١ - ١١٧١م) ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٧ .

٢ - عامر الوراق ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٧ .

٣ - عامر الوراق ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٧ .

4 - Denise Ammoun , Crafts of Egypt , (Cairo , The American university in cairo Egypt , 1991 P59)

على إبداع الصانع ، وبذلك يحافظ الحرفي على تقاليد بلده ويصورها في أعماله . وهناك صناع آخرون طوروا من أنفسهم وأقاموا معارض في الحراية ومصر القديمة وحان الخليلي . حيث يضعون فيها صناعاتهم الفخارية وهي ليست مجرد فخار ولكنها تحف فنية والدليل على نجاحهم في هذا هو الإقبال الكبير من السياح على مثل هذه المصنوعات

ثانياً: صناعة النسيج :-

تعريف النسيج:-

هو فن تعاشقات الخيوط على النول ، ويتكون المنسوج من مجموعة خيوط طويلة يطلق عليها اسم السدي أو السداء ، تتقاطع مع خيوط عرضية تعرف باسم اللحمة تقاطعاً منتظماً ويختلف المنسوج في مظهره ونوعه تبعاً لاختلاف تقاطع الخيوط وتركيبها (تركيب النسيج) .^(١)

تعريف حرفة الأزياء الشعبية :-

حرفة الأزياء الشعبية هي تحويل الأقمشة المصنوعة من خامات مختلفة إلى ثياب ، وذلك عن طريق قص القماش إلى قطع ذات مقاسات محدودة وفقاً للخط المطلوب وحجم البدن ، ثم وصل هذه القطع معاً بالخياطة المحكمة ، أما التحريز فهو التعامل مع جسم القماش ببعض الخيوط في تنويعات نقشية تضيف إلى الثوب طابعاً جميلاً يشير غالباً إلى الملمح الثقافي البني ، وهو ينتشر في أنحاء مصر المختلفة بثقافتها المتعددة والتي تصب في بوتقة التجانس التاريخي والاجتماعي لوطن واحد .^(٢) وسوف نتناول التطور التاريخي لحرفة صناعة النسيج عبر العصور التاريخية التي مرت بمصر .

التطور التاريخي لحرفة صناعة النسيج :-

المصر الفرعونية : اعتمد المصري القديم في البداية على الزراعة كعماد للحضارة المصرية القديمة ، وكان الكتان هو النبات الوحيد الذي استعملت أليافه في صناعة النسيج طوال عصور مصر الفرعونية للاعتقاد السائد ، وقتئذ أن "أوزير" كفن بالكتان بعد موته ،

١ - عد للمحسن للطوخي ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى (القاهرة ، نقاهرة ، أصالة لرعاية الفنون التراثية والمعاصرة ، ٢٠٠٥ ص ٩٨) .

٢ - وداد حامد ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى (القاهرة ، أصالة لرعاية الفنون التراثية والمعاصرة ، ٢٠٠٥ ، ص ١٤٨) .

وقد عرف المصري القديم استخراج الأصماغ من نباتات النيل ، والعصفر المستخرج من زهر القرطم ، وقد عثر على اسمه منذ عهد " تيسي " من الأسرة السادسة (١) ، ومن هنا عرفت أهمية الكتان في صناعة المنسوجات ولقد سجل العصر الفرعوني عمليات صناعة الغزل والنسيج على جدران بعض مقابر الدولة الوسطى والحديثة . كما عثر في طيبة على نموذج يمثل بعض النساء وهن يقمن بالغزل والنسيج ، وهو موجود بالمتحف المصري تحت رقم (CG ٦٠٨٩) وكان الكتان والصوف والقطن والحشائش والبوص واغتب من المواد التي استخدمها المصري القديم لصناعة المنسوجات والملابس . (٢)

ومن الجدير بالذكر أن المصريين أول من اكتشف صناعة النسيج على ضفاف النيل ، وعلى حسب ما ذكر في أسطورة إيزيس أن اختراع طريقة الغزل تعود إليها ، فهي واحدة من أشهر الآلهة التي ذكر أنها تعلمت استخدام الغزل وتحت رايته تم صنع النول ، وتعتبر مصر على ذلك واحدة من مراكز صناعة النسيج في العالم القديم . (٣)

ترجع أهمية النسيج في مصر القديمة إلى ما قبل التاريخ ، وبهذا تكون مصر أولى البلاد التي نشأ فيها ولم تكن النسيجيات المرسمة مجهولة في العهود الفرعونية وإن كنا لم نجد منها غير القليل عثر عليه في مقبرة تحتمس الرابع وفي رداء كان لتوت عنخ آمون ، وفي هذا ما يدل على أن تلك الصناعات كانت مقصورة على القصور والمعابد في العصرين الفرعوني والبطلمي ، حيث أبيع للشعب استخدام تلك النسيجيات وشاع استخدام الصوف منذ عهد البطالمة حيث شاع تشكيل الرسوم وتلوينها وأصبحت صناعة شعبية ، ثم أخذت في الازدهار منذ القرن الثالث . (٤)

في مصر الفرعونية كانت صناعة النسيج مقتصرة على النساء العاملات على أنوال توحد عادة داخل المنازل أو القصور ، وكانت ألياف الكتان بطبيعتها ذات ألوان باهتة ذهبية أو بنية أو خضراء ، إذا قطع محصول النباتات في وقت مبكر ، واستخدم قدماء المصريين المغرة (أكسيد الحديد المائي المخروط بالطين) أو الأصماغ النباتية لتلوين

١ - عبد المحسن الطوخي ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩٩
٢ - أنور عطية العدل ، دور الصناعات للصغيرة والحرفية في التنمية - دراسة ميدانية في بيئة المنشآت الصغيرة في مركز ومدينة المنصورة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٢

3 - Denise Ammon ، Crafts of Egypt ، Op. Cit. ، P 25

٤ - ثروت عكاشة ، الفن المصري ٣ (القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٦ ، ص ١٤٣)

المنسوجات ، وكانت المواد الفائقة المستخدمة في الصنع تشمل الوسمة - نبات عشيبي - اللون الأزرق ، والقوة والقرطم للون الأحمر واستخدم التبييض أيضاً لصناعة المنسوجات البيضاء التي كانت تعبر عن المكانة الاجتماعية الرفيعة والنظافة .^(١)

نسج المصريون ملابسهم من الكتان وكانت نساؤهم يغزلن وينسجن في مهارة فائقة ، وقد صنع المصريون أقمشة خشنة متينة وأخرى رقيقة غاية في الرقة . وكانت عملية الغزل تتم بمغازل من خشب أما عملية النسج فكانت تتم بأنوال تشبه الأنوال اليدوية الآن .^(٢)

أما صناعة الصوف ، فإنه كان قليل الأهمية في العصر الفرعوني وذلك لعدم صلاحية صوف الأغنام المصري للغزل في أغلب الأحيان ، ولاعتقادهم بعدم طهارته فقد كانوا ينسجون منه ملابسهم الخارجية التي كانوا يخلعونها عندما تطلأ أقدامهم حرم معابدهم ، بينما كان يرجع عدم اهتمام قدماء المصريين بالحريز لأنه عرف عند الصينيين طرق غزل ونسج الخيوط المستخرجة من شرائح الحريز ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى انقطاع الصلة التجارية بينهم وبين الصين ، أما بالنسبة للقطن فقد ذكر هيرودت سنة ٤٥٠ ق.م " أن الملك أحمس أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين ، أصدر إلى معبد حزيرتي ساموس ولاندوس قميصين (صديريين) مشغولين من الكتان والقطن معاً وكان يعبر عن القطن بصوف الصوف " ، وقد جاء ذكر القطن في حجر رشيد ، حيث أشير إليه بأنه نبات يعرف باسم " الجوسيون " .^(٣)

لقد نسج المصريون القدماء أرق المنسوجات من ألياف الكتان واستخدموه في الملابس والفروشات الخفيفة وأغطية التدفئة ، ومفروشات الأرضيات وصناعة الحبال ، واستخدموه في وسائل زخرفة المنسوجات كاسلوب النسيج والصباغة ، والتطريز بالخيوط الملونة والخرز ، وأسلاك الذهب والفضة .

1 - <http://www.sis.eg> 2006/3/28

٢ - محمد مختار جمال الدين وآخرون ، مصر وحضارات العالم القديم ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٠ .

٣ - سعاد ماهر محمد ، الفنون الإسلامية ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٦ - ٦٨ .

العصران البطلمي والروماني : وقد امتد الفائق النسيجي حتى العصرين البطلمي والروماني وكان احتكار الدولة مصانع النسيج دافعًا لظهور أنشط محلية من هذه الحرفة . ولدا ازدهرت المنسوجات الكتانية والصوفية وطلعت على المنسوجات القطنية والحريية.^(١)

وفي العصر البيزنطي : تآلفت وازدهرت حرفة النسيج وكانت من أهم منجزات الأقباط في مصر وخاصة في القرنين الخامس والسادس الميلاديين حيث أنتجت مصانع النسيج أرقى أنواع الخيوط واستخدمت أسلوبًا عالي المستوى في طريقة نسجه مع خيوط الكتان والقطن والحري، الأمر الذي نتج عنه تطوير رائع في فن الزخارف وتنوع استخدام الألوان، ومن أشهر ابتكارات العصر القبطي ما يسمى بغزل الوشيعية الطائرة " flying shuttle " (وهو أسلوب فني يعين الإضافة بأسلوب المادة واللحمة) .^(٢)

ومن الزخارف الفنية القبطية رداء مزخرف وهو جزء من قميص من الكتان نسجت زخارفه بطريقة القنطري ، باستخدام خيوط من الصوف والكتان ذات ألوان متعددة ، وهذا الجزء عبارة عن مستطيلين يحيطان فتحة الرقبة ويتكون كل منهما من شريطين يضمن وحدات زخرفية هندسية وأشكال آدمية وحيوانية .^(٣)

وفي العصر الإسلامي: وقد استمر فن الأقباط حتى العصور الإسلامية مع إضافة عديد من الزخارف والفنون الإسلامية لإعطائها رمزًا من رموز الحضارة الإسلامية .

وأطلق العرب اسم " قباطي " على النسيج المصري وقد أظهر المصري مهارة فائقة وقتئذ ، ويذكر ابن إياس أنه كان من ضمن هدايا المقوقس للرسول (عليه الصلاة والسلام) كسوة من بيضات مصر ، وأن بعض الثياب بقيت عنده حتى أنه كفن في بعضها، وبعد الفتح الإسلامي لمصر احتكر العرب حرفة النسيج ، وأنشأت مصانع حكومية إلى جانب الورش الأهلية، وكان يطلق عليها (دور الطراز) وكانت تنقسم إلى قسمين هما:

١- الطراز الخاصة .

٢- الطراز العامة .

١ - عبد المحسن الطوخى ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩٩ .

٢ - المرجع السابق نفسه، ص ٩٩ .

3 - Francisco Jose Martin Valentin & other ، Egypt Cradle of Civilization ، Op. Cit. ، P 68 .

فالأولى: لم تكن تنتج إلا للخليفة وحاشيته ورجال بلاطه، وكانت تنبع بيت مال الحكومة.

أما الثانية: فكانت تنتج لأفراد الشعب، أما الورش الأهلية، فكانت هي الأخرى تحت رقانة الحكومة التي سدها بالمواد الخام وتحدد السعر بمعرفة موظفي دور الطراز، بعد الترخيص لصاحبها وفرص صرائف عليها. وقد كانت المنسوجات في أوائل العهد الإسلامي تصنع وفق الأساليب الفخمية والساسانية، ثم أخذ النمط الإسلامي يستقل تدريجياً ويسود جميع البلاد التي خضعت لحكومة العرب (١)

ومن هنا نوضح أن ليس كل عمل نسجي إسلامي يمكن اعتباره عملاً فنياً ولكن عدداً كبيراً من الأنسجة التي تتطعم بخيوط من الفضة والذهب أو الحرير كانت تصمم كعمل فني إلى جانب تصديرها والتجارة بها، فلقد لعبت صناعة النسيج دوراً مهماً في العصور الإسلامية يزيد على الدور الذي تلعبه في الوقت الحاضر، فقد استوعبت عمالة أكبر مما تستوعب أي حرفة أو مهنة أخرى. إذ كان لكل منطقة لمساتها المختلفة في النسيج، والعامل المهم من هذه اللمسات هو اختيار الألوان التي تسود النسيج الذي يصنع في منطقة معينة بحيث يكون مختلفاً عن هذا الذي يصنع في منطقة أخرى، كذلك شجع مستوى الحرفية العالي الذي يتمتع به النساجون على إتقان هذه اللمسات، كما كانت الصناعات النسجية تناسب الطبيعة المزدهرة المجربة وشبه المجردة والتي كانت مفضلة في العصر الإسلامي في مصر. (٢)

منذ القدم استخدم العرب الكتان والحرير والصوف في المنسوجات وتنوع استخدامها كما تنوعت وسائل زخرفتها وصبغة، وتطريزها بمختلف الألوان بل وبأسلاك الذهب والفضة، والأحجار الكريمة. (٣)

حيث إن في عهود خلافة وولاية المسلمين اكتسبت الأقمشة المصرية استحضاراً عالمياً، لجودتها وجمالها، ولم يختلف هذا عن عصر الأموي بل زادت مراكز صناعة المنسوجات وسوف نوضح هذا في العصر الأموي:

١ - عبد المحسن الطوشي، موسوعة الحرف التقليدية في مصر، مرجع سبق ذكره، ص ١٠١.

٢ - Robert Irwin، Islamic Art، Op. Cit.، P P. 157-158.

٣ - سامي رزق بشاي، تاريخ الزخرفة - للصناعات الزخرفية والنسجية، مرجع سبق ذكره، ص ٤٠٨.

وفي العصر الأموي : ذاعت شهرة دور الطراز ما أنتجته من منسوجات كتانية وحريرية ، وبالنسبة للأقمشة فقد اتخذت لحمايتها من الحرير والصوف وسداتها من الكتان ، على أنه وجدت بعض الأقمشة كلها من الحرير ، وغالبًا ما كانت توشى بخيوط الذهب. ^(١) أدى هذا كله إلى تطور صناعة المنسوجات وإنشاء العديد من المراكز لصناعة المنسوجات ووجود العديد من الصانع المهرة كما اشتهر العصر الأموي بإنتاج أنواع معينة من المنسوجات البيضاء أو الملونة الرقيقة أو الثقيلة التي أقبل عليها الحكام العرب وغيرهم من سائر الرعية فضلاً على المصريين. ^(٢)

وفي العصر العباسي : تميزت منسوجات هذا العصر بالدقة والفخامة والمتانة . وكان القماش يزين بشرط عريض عليه زخارف هندسية أو حيوانية تحف به من الجانبين . إضافة إلى الكتابات الكوفية التي كانت في أول الأمر عباسية . ولكنها عندما بلغت الكمال والنضوج في العصر الفاطمي اتخذت تلك الكتابات شكلاً جديداً سمي بـ " الكوفي المشجر " وهو الذي تنتهي بعض حروفه بتفريعات من المراوح النخيلية. ^(٣)

وفي العصر الفاطمي : بلغت صناعة النسيج في مصر من الرقي والتطور بحيث أصح من اليسير صنع الأقمشة الحريرية والصوفية والكتانية .

وأكبر مثال على الاهتمام بفن النسيج في العصر الفاطمي فيما يتعلق بدار الكسوة التي شيدت في عهد الخليفة المعز لدين الله ، حيث كان ينسج فيها ثياب الخليفة والأمراء والوزراء والحلل التي كانت تمنح للأشراف وكبار رجال الدولة في الأعياد ، خاصة عيد الفطر حتى سمي هذا العيد باسم " عيد الحلل " . ^(٤)

وقد تقدمت صناعة النسيج وراج إنتاجها بعد الفتح الفاطمي للبلاد واتخاذهم القاهرة مقراً لخلافتهم ، ولا شك أن قطع النسيج المطرزة بالعبارات الدينية والدعائية بأسماء الأئمة التي بدأت دور الطراز في إنتاجها في أعقاب الفتح مباشرة ، كانت خير شاهد على ذلك .

- ١ - عبد المحسن الطوشي ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠١
- ٢ - السيد طه السيد أبو منديرة ، الحرف والصناعات في مصر الإسلامية - من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي (٢٠ - ٥٦٧هـ / ٦٤١ - ١١٧١م) ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠ .
- ٣ - المرجع السابق نفسه ، ص ١٠١ .
- ٤ - اعتماد علام ، الحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغير ، الطبعة الأولى (القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩١ ، ص ٨٤ - ٨٥) .

ومن مظاهر تقدم صناعة النسيج أنها لم تقتصر على استخدام أنواع النسيج لعمل الملابس والكسوات، بل اتخذ المصريون من إنتاج المناسج ودهن الطراز العامة أشياء لا حصر لها مثل الخيم والمصارب والحصون والقصور، وصنعوا من القماش المساند والمخاد والمراتب والبسط والمقاطع والستور والعصائب النسائيات والخرايط للسيوف من الديباج الأحمر والأصفر.^(١)

وفي العصرين الأيوبي والملوكي، صارت الأقمشة أكثر زهداً في الزخرفة وانتشرت غرزة السلسلة والكتابات النسخية والكوفية المطرزة بالحرير متعدد الألوان، إضافة إلى شيوع الرسومات النباتية والحيوانية ورسوم الطيور.^(٢) كما ازدهرت صناعة النسيج والعناية ونسج الحرير وتطريزه وتزيين بالزخارف المطبوعة.

إن المنسوجات المصرية المصنوعة من الكتان في القرن السابع الهجري (١١٣) امتازت زخرفتها باستعمال الخط النسخ، ومن أحمل المنسوجات الأيوبية والملوكية في مصر والشام منسوج من الحرير، وزخارفها متنوعة وبعضها يشبه الزخارف التي توجد على التحف الزخرفية المعدنية في هذا العصر، أما المنسوجات ذات الزخارف المطبوعة فقد ازدهرت صناعاتها في عصر المماليك وأحمل ما يعرفه منها يرجع إلى القرنين السابع والثامن بعد الهجرة (١٣-١٤م)، وقوام زخارفها معينات تضم وريادات وفروع نباتية بالألوان الأزرق أو الأحمر أو البني.^(٣)

والساحيد التي صنعت في العصر المملوكي فقد كانت كبيرة الحجم ذات كثافة كبيرة إذ عدد العقد كان كبيراً، كما كان يستخدم فيها خيطاً صوفياً أو حريرية، وكان عدد ألوانها محدوداً يطغى عليها اللون الأخضر، والبني والأحمر ولقد أعطى كثافة العقد السجاد المملوكي مكانة رائعة، فكانت التصميمات قائمة على واحدة أو أكثر من

١ - السيد طه السيد أبو منديرة، الحرف والصناعات في مصر الإسلامية - من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي (٢٠- ٥٦٧هـ / ٦٤١ - ١١٧١م)، مرجع سبق ذكره، ص ٥٢.
٢ - عبد المحسن الطوخى، موسوعة الحرف للتقليدية في مصر، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٢.
٣ - نريا نصر، التصميم الزخرفي- في الملابس والمعروضات، مرجع سبق ذكره، ص ٧٧.

الميداليات توضع في منتصف السجاد، والتي يتشعب فيها ثماني بحوم أولاً على شكل ثماني الأضلاع والروايا ثم على شكل مربع^(١)

من العرض السابق يتضح أن الثياب المملوكية أو غيرها من الثياب الفاخرة، صنع من أقمشة نسجت على أنوال متناهية في الجمال فإن الأرياء الشعبية اعتمدت على ضروب من الأقمشة تشبه الأنواع القديمة من حيث الهيئة إلا أنها تختلف اختلافاً جوهرياً من حيث الجودة والسعر.

وفي العصر العثماني: ازدهرت صناعة النسيج في الإمبراطورية العثمانية وكان أهم منتجاتها الديباج والمخمل (القטיפه) ومعظم هذه المنتجات النفيسة كان فيما بين القرنين العاشر والثاني عشر الهجريين (١٦ - ١٨ م) ، وقد امتازت المنسوجات التركبية بالموضوعات الزخرفية النباتية، إذ أقبل النساجون على رسوم الزهور كالقرنفل والسوسن والورد وهذه الزخارف كانت موحودة على الخزف القيشاني قبل وجودها على الأقمشة ، أما الألوان التي كانت تغلب على المنسوجات التركبية ، فكانت الأحمر والأخضر والأرجواني ، وكان يدخل في نسجها أحياناً خيوط الفضة المذهبة .^(٢)

وقد شهد العصر العثماني تأثراً بالفنون النسبجية التركبية التي تميزه بطابعها المخملي المتشابه مع الطابع الإيراني المتأثر بالفن الإيطالي، وعلى الرغم من هذا فقد ظهرت له شخصيته الخاصة المتميزة باختفاء الكائنات الحية، لتندو وتتجلى التفريعات الزهرية والمراوح النخيلية كما امتداد للعهد المملوكي .^(٣)

وانتقالاً من ذلك يتضح أن الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني بشر فيها طائفة من قمصان لسلطين آل عثمان ، ما بين القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، ومنها تتضح ضخامة الزخارف المفصلة منها هذه القمصان الأمر الذي لا يدع مجالاً للشك في أن أنوالها كانت متناهية في السعة للتمكن من إظهار الزخارف على امتداد عرض الستور والقمصان التي كان يلبسها السلطين في ذلك الوقت .^(٤)

1 - Robert Irwin ، Islamic Art ، Op. Cit. ، P 164 .

٢ - ثريا نصر ، التصميم الزخرفي: في الملابس والمفروشات، مرجع سبق ذكره ، ص ٧٨ .

٣ - سعد المحسن الطوخي ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٢ .

٤ - سعد الخادم ، الأزياء الشعبية ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٤ .

إن القاهرة في القرن الثامن عشر : كانت أحد المراكز الرئيسية لحياكة النسيج إذ كان يصنع بها كميات كبيرة ومتنوعة من نسيج الكنان وبالأخص نسيج القطن المسمى ("عجمي" ، "أمان" ، "مربع") ، فقد كان يوجد بالقاهرة في نهاية القرن الثامن عشر ٢٠ أو ٣٥ حرفيًا متخصصًا في صناعة غزل الحرير التي تسمى " دولاب فتال " كما كان هناك عدد كبير من " قاعات الحياكة" (١)

و مع بداية عصر محمد علي وظهور البعثات الأجنبية بدأ النوق المصري ينزغ إلى التغيير والتأثر بالنمط الأوروبي ، وهو ما أثر على معظم الحرف ومنها الأقمشة والأبسطة وبدأت تحدث القطيعة النسبية مع التراث ذي الدوافع البيئية والعقائدية والتاريخية ، وقد تجلّى هذا التأثير واضحًا منذ عهد الخديوي إسماعيل وبنائه للقاهرة الجديدة على الطراز الغربي ، وبالتبعية تغير النوق في الأزياء والمفروشات والستائر والأبسطة وغيرها. إلا أن ما يحمّد لعصر محمد علي هو ظهور زراعة القطن وبالتالي فقد احتلت المنسوجات القطنية موقعًا مرموقًا في وحدان الشعب (٢)

الاحتلال الإنجليزي : ومع الاحتلال الإنجليزي لصغر تخضع التأثير الغربي على بعض طوائف الشعب فشغفت بالنمط الإنجليزي في الملابس، لاسيما وأن العائلة المالكة استمرت حتى عام ١٩٥٢ ، حتى قيام ثورة يوليو وحرصها على الاكتفاء الذاتي من الصناعة والزراعة بما ينشط صادراتها وتجارتها الدولية (٣)

ومن الجدير بالذكر أن فترة الاحتلال البريطاني كانت ذات أثر سيئ على الاقتصاد المصري وعلى الحرفيين والصناع لما حدث من تدهور سياسي أدى إلى تدهور اجتماعي واقتصادي ترتب عليه انتشار العديد من الحرف . وسوف يوضح الجدول هنا كمية المنتج للسجاد والكليم كنوع من أنواع النسيج مع توضيح الفترات التي زادت بها كمية الصناعة أم قلت .

١ - اندريه ريمون ، للحرفيون والتجار في القاهرة في القرن الثامن عشر ، ترجمة:ناصر أحمد إبراهيم ، ولخزون ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى (المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة ، ٢٠٠٥ ، ص ٣٩٢) .

٢ - عبد المحسن الطوخى ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٣ .

٣ - للمرجع السابق ، ص ١٠٣ .

جدول رقم (١٧)
المنتجات الرئيسية لصناعة (الكليم - والسجاد) في الأعوام الآتية
(١٩٥٦، ١٩٥٨، ١٩٦٠).

المنتج	السنة	الكمية بالتر المربع	القيمة بلجنيه	% إلى إجمالي القيمة
كليم صوف يدوي	١٩٥٦	٣١٨٩	٤٤٨٤	٢.٠٧
	١٩٥٨	٨٩٢٧	٢٠٠٦٨	٥.٦٠
	١٩٦٠	٣٣٤	٧٤٠	٠.١٥
كليم صوف الي	١٩٥٦	٢٠٠٠	٢٥٠٠	١.١٥
	١٩٥٨	---	---	---
	١٩٦٠	---	---	---
سجاد صوف يدوي	١٩٥٦	٢٠٢٣	١٢٢٠٠	٥.٦١
	١٩٥٨	١٠٣٢٦	١٠٥٠٧٠	٢٩.٣٢
	١٩٦٠	١٨٧٠٤	١٦٦٨٨٨	٣٤.٢٩
سجاد صوف الي	١٩٥٦	---	---	---
	١٩٥٨	١٩٥٣	٧٨٩٠	٢.٢٠
	١٩٦٠	٧٣١٠	٢٨٥٠٦	٥.٨٦
سجاد قطن الي	١٩٥٦	١٦٣١٣٧	١٦٩٤٩٩	٧٧.٩٨
	١٩٥٨	١٥٩٣١٨	١٧٩٧٣٦	٥٠.١٦
	١٩٦٠	١٥٥٦٠٤	١٨١٩٦١	٣٧.٢٨

المصدر: الجهاز المركزي للتعبيث العامة والإحصاء، إحصاء الإنتاج والمنتجات الرئيسية للصناعة (السجاد والكليم) للأعوام (١٩٥٦، ١٩٥٨، ١٩٦٠).

نلاحظ من جدول رقم (١٧)، أن الكليم الصوف اليدوي زاد إنتاجه في عام ١٩٥٨ على النقيض من الكليم الصوف الآلي الذي أنتج في عام ١٩٥٦ ولم ينتج في الأعوام الأخرى، على عكس فإن السجاد وخاصة سجاد الصوف اليدوي زاد بنسبة ٣٤.٢٩ في عام ١٩٦٠ ونلاحظ أنه تدرجت زيادته في الإنتاج أي أنه في مراحل تطور كما نرى أيضا سجاد

الصوف الآلي الذي تدرج في تطور إنتاجه بنسبة بسيطة ، ولكن سجاد القطن الآلي فإنه وصل إلى أقصى طاقة إنتاجية ولكن انخفض إنتاجه بنسبة ٣٨ . ٣٧ عام ١٩٦٠ عما كان عليه في عام ١٩٥٦ بنسبة ٧٧ . ٩٨ ، وهذا يرجع إلى أن مصر في هذه الفترة كانت تهتم بزراعة القطن وكانت تحتل المرتبة الأولى في زراعته .

وفي منتصف القرن العشرين : على الرغم من أن صناعة الغزل والنسيج نشأت في مصر منذ آلاف السنين كما أثبتت الكشوف الأثرية . فإن عام ١٩٢٧ يعتبر البداية الحقيقية لصناعة الغزل والنسيج في مصر ، إذ تم إنشاء صناعة وطنية بالبلاد . على أسس علمية سليمة ، توسعت وازدهرت بمرور الوقت ، وتحولت مصر من دولة مستوردة للغزل إلى دولة مصدرة له في عام ١٩٤٩ . كما احتلت صناعة الغزل والنسيج في الخمسينات مكاناً مرموقاً بين الصناعات الأخرى في مصر بسبب الإدارة الناجحة ، وتكامل الفنيين بالأعداد المناسبة ، والتزام كامل مع العاملين بالإنتاجية وبمستوى الجودة ولذلك لاقت الصناعات المصرية قبولاً بين المواطنين إلى حد كبير ، إلى جانب النجاح في تصدير المنسوجات إلى خارج البلاد وفي الستينيات عانى كثير من مصانع الغزل والنسيج في بعض السليبات ، خصوصاً بعد التأميم ، الذي كان له أثر عكسي على تطور هذه الصناعات في مصر. (١)

العصر الحالي : تحتل صناعات السجاد والكليم في العصر الحالي مكان الصدارة بين الصناعات الاستهلاكية لكونها تعتمد على خامات رئيسية تعتبر مصدرًا من مصادر الثروة ، وأهم هذه المصادر القطن والصوف والألياف الصناعية ويقف القطن منها جميعاً في المقام الأول حيث يعادل ٤٨٪ تقريبًا من استهلاك العالم من الألياف النسيجية. (٢)

١ - لحمد لنور زهران ، التكنولوجيا والصناعة . الجزء الثامن (أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا ، ١٩٩٩ ، ص ١٨٧) .

٢ - لحمد لنور زهران ، التكنولوجيا والصناعة ، الجزء الثامن ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٨٣ .

جدول رقم (١٨)
الإنتاج الفعلي لصناعة السجاد والكليم وماليها في الأعوام (٢٠٠١/٢٠٠٠ -
٢٠٠٣/٢٠٠٢ - ٢٠٠٢/٢٠٠١)
القيمة : بالآلاف جنيه

المتج	السنة	قطاع خاص	
		كمية م ^٢	قيمة
سجاد صوف يدوي	٢٠٠١/٢٠٠٠	٥٨٣١٤	١٥٧٩٥
	٢٠٠٢/٢٠٠١	٤٢٤٥٠	٢٢٥١٦
	٢٠٠٣/٢٠٠٢	-	٩٧٦٨٦
سجاد حرير يدوي	٢٠٠١/٢٠٠٠	٧٢٠	١٥٦٠
	٢٠٠٢/٢٠٠١	٣٥٩	٥٠٢
	٢٠٠٣/٢٠٠٢	-	١٥٠٨
كليم صوف	٢٠٠١/٢٠٠٠	٦٢٤٠	٢٠٧
	٢٠٠٢/٢٠٠١	٢٤٨٨٨	٦٧٩
	٢٠٠٣/٢٠٠٢	-	٢٠٤٠

المصدر: الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء. الإنتاج الفعلي لصناعة السجاد والكليم وماليها في الأعوام (٢٠٠١/٢٠٠٠ - ٢٠٠٢/٢٠٠١ - ٢٠٠٣/٢٠٠٢).

يوضح الجدول السابق الإنتاج الفعلي لصناعة السجاد والكليم في الأعوام (٢٠٠١/٢٠٠٠ - ٢٠٠٢/٢٠٠١ - ٢٠٠٣/٢٠٠٢) بالنسبة للسجاد. فلن كميته زادت في عام ٢٠٠١/٢٠٠٠ مع الملاحظ أن الأسعار ارتفعت من عام ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٣، مع قلة الكمية، ومن المعروف أن الصناعة اليدوية أسعارها مرتفعة نتيجة للابتكارات الفطرية مع ارتفاع أسعار المواد الخام.

كما تطورت حرفة التصنيع وخطاطة الأزياء على مر العصور وفقاً للتغيرات الزمنية المتتابة حتى وصلت لما هي عليه الآن، وهي من الحرف التي تعكس الحالة الاجتماعية الاقتصادية والسياسية للعصر الذي تنشأ فيه إضافة إلى تعبيرها عن منظومة القيم والعادات السائدة، ونفس الظروف يمكن أن تظهر على الأزياء الشعبية التي تنقسم في عمومها بالسهولة والنعد عن التكلف مع تمسكها بالقيم التراثية الأصيلة، والمدقق في أنماط

الأزياء الشعبية في مصر يحد أنها قد تأثرت تدريجياً بالتغيرات الاجتماعية المتواترة ، وذلك في صورة تغير على صعيدي الشكل والخامة وكل هذا يتم بما يتلاءم مع احتياجات الجماعة الشعبية وفقاً لروح المعطيات العصر وتراكمات الثقافة الشعبية والتاريخية. (١)

ثالثاً: صناعة الزجاج :-

تعريف صناعة الزجاج:-

الزجاج : هو حوهز صلب سهل الكسر ، شفاف . وتعد صناعة الزجاج من الحرف التقليدية اللازمة لحياتنا اليومية على الصعيدين الجمالي والنفعي بصورة منفصلة أحياناً ، ومتصلة في أحيان أخرى ، فعلى الرغم من ضرورة الأواني الزجاجية كجانب نفعي مهم ، حيث إنها ارتبطت بمؤثرات بيئية وتاريخية وعقائدية داخل الوعي الشعبي الأكثر فاعلية في تحديد الملمع التراثي، وقد تنوعت هذه الجماليات بين الأشكال الكروية والأسطوانية عن طريق النفخ . وبين الحفر بشقيه الغائر والبارز، والتذهيب والتفضيض وغيرها من الأساليب التي تضيف إلى الإناء رونقاً وبهاء. (٢)

سوف نعرض التطور التاريخي لصناعة الزجاج عبر العصور التاريخية التي مرت ما منه الصناعة :

التطور التاريخي لحرفة صناعة الزجاج :-

العصر الفرعوني : لقد شدد انتباه الإنسان الأول تلك الكتل الشفافة اللامعة ، واستطاع بالملاحظة وبالمثابرة كشف سرها ، وتوصل إلى أسلوب بدائي حاكى به الطبيعة ، وصنع الإنسان الزجاج لأول مرة ، وتمضي الأيام وتنتقل الخبرة من الأجداد إلى الأحفاد ، فقد أثبت الأثريون أن مصر الفرعونية عرفت الزجاج قبل أي دولة أخرى في العالم القديم ، وذلك عندما عثروا على أوان وقدر زجاجية يرجع تاريخها إلى ٤٠٠٠ سنة مضت إبان عهد الأسرة الثامنة عشر لم تذكر الوثائق التاريخية كيف اكتشف الفراعنة الزجاج ، ويبقى سر صناعة الزجاج أسيراً بين جدران المعابد ، إذ لم يسمع الكهنة للخبرة المصرية القديمة بالانتشار (٣)

١ - وداد حامد ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٤٩ .
٢ - سونيا ولي الدين ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى (القاهرة ، لسالة لرعاية الفنون التراثية والمعاصرة ، ٢٠٠٥ ، ص ٦٠)
٣ - احمد لور رهان ، التكنولوجيا والصناعة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠٧ .

تكشف الآثار المصرية القديمة عما كان يمتلكه الحرفي من قدرات إبداعية شملت في إنتاجه العديد من المنتجات باللغة الدقة في فنون الخزفة والنقش ، فقد اكتشفت البعثات الأثرية الكثير من المنتجات الخزفية والمصنوعة من الزجاج الملون .

كما تألفت صناعة الزجاج في مصر القديمة ، ففي مدينة "أخياتون" التي أقيمت في العهد الموحد المصري (أخياتون) تألفت عدة صناعات كان أهمها الخزف والزجاج على الرغم من أن المدينة قد شيدت في الأصل لتكون حصنًا للمذهب الجديد والنلاط الفرعوني . تدل الرقائيق الخزفية والتفاصيل الموجوبة على جدران قصر "أخياتون" على البهاء والفخامة ، وهي التي استخدم فيها الزجاج الملون والذهب الوفير لترين تيجان الأعمدة التي أخذت شكل جريد النخل وفي تاريخ حرفة الزجاج كان هناك ثلاث طرق لصنع الأواني الزجاجية وهي طرق القالب "moulding" والسحب "drawing" والسفخ "blowing" والتي عرفت مؤخرًا في حين أن طريقة القالب كانت شائعة عند الأقدمين .^(١)

ومن هنا يتضح أن المصريين القدماء عرفوا الزجاج الشفاف الملون ذا اليريق المعدني، واستخدم في صناعة الأواني والتمائم والتماثيل الصغيرة وأدوات الزينة ، كما استخدم في أشغال المينا .

ولم تقف صناعة الزجاج على المصريين القدماء بل تطورت عبر العصور وانتقلت من العصر الفرعوني إلى العصر الروماني والبيزنطي ليظهر الفن القبطي .

وفي العصر اليوناني والروماني : استمرت شهرت صناعة الزجاج طوال العصور اليونانية والرومانية . ومن أجمل الأنواع التي أنتجتها مصانع الإسكندرية في هذا العصر نوع من الزجاج متعدد الألوان أطلق عليه الإيطاليون في عصر النهضة الأوربية اسم ميللفوري "Millefiori" أي ألف زهرة ، وهو ابتكار فرعوني ، وطريقة عمل الأواني تقوم على عمل عيذان من الزجاج مختلفة الألوان تجمع معًا في حزمة واحدة ثم تدخل نازًا هادئة لتتماسك معًا ثم تقطع عرضيًا إلى أسطوانات صغيرة تلتصق معًا .^(٢)

وفي العصر البيزنطي : تعد مجموعته الزجاج بالمتحف القبطي قليلة على الرغم من ازدهار هذه الصناعة في هذا العصر، وتتمثل مجموعة الزجاج المعروض بالمتحف القبطي في

١ - سونيا ولي الدين ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦١ .
٢ - سونيا ولي الدين ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر . مرجع سبق ذكره ، ص ٦٢ .

أوان من زجاج مقلم وطرز مختلفة من الكؤوس وأوان حميله للعلطور وشمعدانات ومسارج وأكواب شفافة من عصر متأخر (١).

العصر الإسلامي : مع الفتح الإسلامي عادت للقاهرة مكانتها في عالم الحرفة ، وتلقى الصانع المصري تالفاً أحياناً بالألباب وعقول الأمراء والحكام واستعاض سادة القوم بالمنتجات الزجاجية عن الأواني والقدور الذهبية طلقاً لمبادئ الشريعة الإسلامية . لقد نشر الحكام رعايتهم على الحرفيين وتقديرهم لمكانتهم الفنية ، إضافة إلى تقاليد المسلمين في عصر الخلاقات الإسلامية المتعاقبة ، وهو ما أعطي دفعة إضافية لصناعة الزجاج ، فمع بزوغ فجر الإسلام كان تأثير الحقبة الرومانية لا يزال باقياً ، ليظل الحرفيون يمارسون المهنة وفق الأساليب القديمة المعروفة ، وتشمل منتجات الزجاج في العصور الإسلامية الأولى زجاجات وقوارير وزهريات وأكواب للاستعمال المنزلي أو لحفظ الزيوت والعلطور (٢).

كما عرف أنواع الزجاج الشفاف والملون بالألوان الشفافة والمزخرفة بالبنا والمذهبة وغيرها ، وقد تنوعت استخداماته في صناعة الأكواب والأواني والقناديل وأدوات الزينة ، كما عرف الخزف خلال الحضارة الإسلامية وعرفت أغلب وسائل تشكيل وزخرفة الخزف ، وعرفت منه أنواع تمتاز بالدقة والجمال في الشكل والزخرفة ، كما استخدم العمار والخزف في شتى نواحي الحياة فصنعت منه الأواني والأكواب والكؤوس والأناريق والأطباق والقدور وأواني حفظ السوائل والماكولات والحبوب والقناديل الخ (٣).

وبعد الفتح الإسلامي لمصر ، عمل العرب على تطوير صناعة الزجاج وابتكار الكثير من الأدوات والطرق التي لم تكن مستخدمة في العصور السابقة .

ففي نفخ الزجاج استخدم " البوتيل " وهو عبارة عن قضيب يمسك بقاع الإناء ، وكانت الكتل الخشبية من بين الأدوات الأخرى المستخدمة في نفخ الزجاج لتشكيل الزجاج المنصهر على هيئة كرة قبل نفخه ، والمدوار لتشكيل فم الوعاء والمقص لتقليم الزجاج الزائد أثناء النفخ واستخدامه في إنتاج زجاج في ذلك العصر وهناك نوعان من

١ - محمد بسري دعيبس ، القاهرة سحر الشرق وعبق التاريخ - دراسة في أثر وبولوجيا السياحة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٧٤ .

٢ - سونيا ولي الدين ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٣ .

٣ - مسلمي رزق بشاي، تاريخ الخزف - للصناعات الخزفية والنسجية ، مرجع سبق ذكره .

القوالب نوع من جزأين منفصلة ، بأشكال هندسية ونباتية ، وأحرق قالب غمس . حيث يفع الزجاج بداخله ثم يستكمل نفضه خارجاً مما يجعل الشكل أقل تميزاً . ويتميز زجاج ذلك العصر بأشكال مركبة ، مقرونة نأيات قرآنية وكتابات أخرى ، منفذة بخطوط خزفية فنية .^(١)

وفي العصر العباسي : في أوائل القرن الثالث الهجري بدأت جميع الحرف والفنون تتميز بأسلوب وطابع إسلامي واضح ، فقد اختفت الرسوم الأدبية وحيوانية ، كما حورت الرسوم النباتية ، وظهرت الكائنات العربية كعنصر زخرفي واضح ، وقد كانت الأساليب الفنية والزخرفية مشتركة إلى حد كبير بين دول الشرق الأوسط الإسلامي مصر وسوريا والعراق حتى أصبح من الصعب في كثير من الأحيان نسب التحف الزجاجية إلى إقليم محدد .^(٢)

وفي العصر الفاطمي : يعتبر عهد الفاطميين العهد الذهبي للزجاج .^(٣) فهو من الصناعات التي اشتهرت في هذا العصر ، فقد بلغت تلك الصناعة درجة عظيمة من الرقي .

فهو يدل على مدى ما وصلت إليه صناعة الزجاج في العصر الفاطمي في رقي وتطور ، وكانت هذه الصناعات متمركزة في تنيس والفسطاط والفيوم والإسكندرية ، وهي المدن التي كانت مشهورة أيضا بهذه الحرف في العصر البيزنطي وصناعة الزجاج كانت لازمة في تشييد القصور ، وكانت أيضا ضرورية لصناعة الفوانيس والمصابيح فقصور الخلفاء كانت حافلة بمنتجات زجاجية في غاية الدقة ، وكانت المصنوعات الزجاجية تستخدم أيضا في التجارة مع النوبيين كوسيلة للتبادل بدلاً من النقود حيث كانت القطع الزجاجية تستخدم بدلا من العملات الصغيرة ، أما الطور الجبلي ، فكانوا يصنعون منه الكؤوس والأقداح والأباريق والفناجيل والزجاجات الصغيرة .^(٤)

1 - [http:// www.sis.eg](http://www.sis.eg) 28/3/2006

٢ - سعاد ماهر محمد، الفنون الإسلامية، الطبعة الأولى (الهرم، هلا للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢، ص ٢٥٣) .

٣ - أحمد أنور زهران ، التكنولوجيا والصناعة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠٧ .

٤ - ل. أسيمبونا ، تاريخ مصر الفاطمية " لبحاث ودراسات " ، ترجمة : حسن بيومي (المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠١ ، ص ١٢٢)

ويتضح مما سبق تطور صناعة الزجاج تطوراً ملحوظاً في العصر الفاطمي فقد أنتج أرقى أنواع الزجاج ، وأكبرها قدراً ، خاصة الزجاج المذهب والمزين بزخارف ذات دريق معدني ، مما جعل الدول الأوروبية تتنافس على شرائه من مصر فنافسوا بذلك منتحات الدول البيزنطية ، وكانت المصنوعات الزجاجية في العصر الفاطمي تعد من النخبة النادرة والتي تعتبر تحفاً من أعلى النفايس خاصة ما كان مرسوماً عليها بالذهب الخالص .^(١)

وفي العصرين الأيوبي و المملوكي : في العصر الأيوبي كان أغلب التحف الزجاجية التي عثر عليها ملونة بالمينا والذهب ، كان بعضها يشتمل على زخارف لموضوعات آدمية عبارة عن مناظر الألعاب الرياضية وحلقات الصيد ، وكانت هذه الصور تشتمل أيضاً على رسوم حيوانية في تكوينات زخرفية مع زخارف نباتية ، والزخارف الكتابية بالخط النسخ أو الثلث . ومع بداية العصر المملوكي استمر ازدهار صناعة الزجاج الذي تميز بطلاء المينا ، فصنعت منه القناديل والدوارق والأباريق والبلور الصخري ، ووصلت تلك الصناعة إلى قمتها في القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر ، وكان أهم ما يميز العصر المملوكي مصابيح المشكاوات التي تفنن فيها الزجاج المصري ، والتي كان بعضها مطلياً بالمينا ، وعليها زخارف قوامها أشربة بها كتابات وخامات وفروع نباتية تقليدية .^(٢)

قد كان من ضمن تقنيات صناعة الزجاج وتشكيله النفخ في الرمال ونقشه بخطوط سوداء وقطعه بعجلة ، وقد ظهرت روعة الصناعات الزجاجية في القرن الثاني عشر ثم اختفت تقنيات صناعة الزجاج لأسباب مجهولة ، ثم انتعشت ثانياً ، فمند القرن الثالث عشر أصبحت زخرفة الزجاج عن طريق طلائه بالذهب أو طلائه بالمينا أو سطح ملون منتشرًا في مصر وسوريا ، فقد كانت التصبيمات توضع باللون الأحمر ثم تغطى بلون معين ثم تحرق في أفران ذات درجات حرارة منخفضة ، وهو نفس الأسلوب الذي كان يتبع في طلاء الأواني المعدنية والخزف .^(٣)

وفي العصر العثماني : يأتي العصر العثماني ليغير مجرى صناعة الزجاج في مصر مثل باقي الحرف الأخرى نتيجة سحب معظم الحرفيين إلى الأستانة إضافة إلى

١ - أحمد عطيه رمضان ، تطور مصر الاقتصادي والاجتماعي منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر المماليك (القاهرة ، دار الثقافة العربية ، ١٩٩٠ ، ص ١٣٠)

٢ - سونيا ولي الدين ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٥ .
3 - Robert Irwin ، Islamic Art ، Op. Cit. ، P 155 .

التغريب الذي ساد الدولة العثمانية ، فقد انجذبوا إلى استيراد الزجاج من مدينة الدندقية التي تعلمت الزجاج من قتل على أيدي الزجاجين المصريين بالإسكندرية . ونتيجة لاتجاه الطبقة الحاكمة إلى استيراد الزجاج فقد المبدع المصري جانداً كبيراً من التشجيع ، فظهرت ملامح التدهور والاضمحلال في هذا العصر، وذكر المستشرق الإنجليزي " إدوارد وليم لين " أن صانعي الزجاج فقدوا كثيراً من الحس الفني الذي كان عند أسلافهم ، ومع ذلك مازال إبداعهم في صنع النوافذ يلاقي استحساناً ربيعاً . وإن كان ليس بمستوى الماضي .^(١)

القرن العشرين : تجمدت صناعة الزجاج في مصر فترة طويلة حتى عادت الروح لها في الثلث الأول من القرن العشرين ، منذ هذه الحقبة والتطور يدفعها في خطوات إلى مزيد من التقدم .^(٢)

تقوم حرفة الزجاج في العصر الحديث على تفرغ الوحدات الزخرفية الهندسية والنباتية وأشكال الحيوانات في ألواح من الجص بزاوية ميل معينة تسمح بنفاذ الضوء عبر الفتحات التي يتم تغطيتها بقطع من الزجاج الملون بألوان زاهية وشفافة تضيء على المكان حشواً وروحانية، وكانت العمارة الإسلامية في مجال إبداع فن الزجاج المعشق بالجص لدقتها وتنوع تصميماتها وعدم تكرارها وكان لهذا القسم بمركز الخزف بوكالة الغوري دور كبير في إنقاذ هذا الفن من الانقراض منذ أوائل الستينات وحتى الآن حيث تخرج منه العديد من المتدربين والذين مارسوا هذه الحرفة على أعلى مستوى من الدقة والجمال .

رابعاً : صناعة الجلود

التطور التاريخي لحرفة صناعة الجلود :

العصر الفرعوني : استطاع المصريون القدماء الاستفادة من جلود الحيوانات بمهارة واضحة في صناعة الأكياس وأغطية الوسائد وأرضيات المركبات والحبال والنعال . وقد صورت هذه الصناعة على جدران بعض المقابر.^(٣)

١ - مونييا ولي الدين ، موسوعة الحرف التقليدية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٦ .
٢ - أحمد أنور زهران ، التكنولوجيا والصناعة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠٨ .
٣ - أبور عطية العدل ، دور الصناعات الصغيرة والحرفية في التنمية - دراسة ميدانية في بيئة المنشآت الصغيرة في مركز ومدينة المنصورة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢١ .

كان المصريون القدماء يستعملون الجلود ككساء للأحياء وأكفان للموتى وقد حطوا
المصريون بالجلود حلوات منذ القدم فاستعملوه خاماً ثم عالجهو لدرجة جعلته طرياً ثم
دبغوه دبغاً تاماً ، والأشياء المصنوعة من الجلد توجد في المقابر من العهد التاسع وفترة
البداري وعصر ما قبل الأسرات ، وصناعة الجلود مصورة على حدران مقبرة من عهد الأسرة
السادسة والعشرين في طيبة ، فقد استعملت الجلود في صنع مقاعد الكراسي ذات المساند
وللكتابة عليها وكانت شائعة جداً في ذلك العصر^(١).

دبغ المصريون الجلود بمهارة وصبغوها صبغاً متقناً وصنعوا منها أعطية المقاعد
والوسائد والنعال والسيور الجلدية لعجلات الحرب والدروع وجعاب السهام. حتى استمر
للعصر الإسلامي .

العصر الإسلامي : لما كانت أراضي القطر المصري الزراعية كثيرة المراعي كانت
صناعة الجلود بطبيعة الحال معلومة ، فقد دبغ المصريون الجلود بمهارة فنعموها وصنعوها
بكل الألوان واستعملوها لأعطية المقاعد والمضاجع والوسائد كما صنعوا منها المظلات
والستائر^(٢).

ويبدو أن المصريين في أوائل القرن الرابع الهجري عملوا على اكتساب معرفة
صناعة بعض أنواع الجلود من الزنوج ، كما عملوا على أن يستوردوا من الحشيشة جلود
الجاموس ، وكان التجار الذين يعملون في (عيزاب) يجلبون إلى مصر الأدم والدرق ، وكذلك
جلود النمر وغير ذلك من الخامات اللازمة للصناعات الجلدية المختلفة ، وأهم ما يصنع
من الجلود في مصر النعال أو الأحذية وقد اشتهرت القسطنطينية بصناعة الكثير من الأدوات
بمثل عمل الحقائق والسيور والقسبي^(٣).

مما يدل على مهارت وإبداع الفنان في العصر الإسلامي أنه استخدم وسائل
متنوعة في إعداد ودباغة وصياغة وتلوين مختلف أنواع الجلود ، نحو جلود الضأن والماعز
والإبل والعحول والأنفار والجاموس ، وصنعوا منها النعال والحقائق وكثيراً من أدوات
المنزل .

١ - الفرید لوکاس ، المواد والصناعات عند قدماء المصريين ، ترجمة : زكي إسكندر وآخرون ، الطبعة
الأولى (القاهرة ، مكتبة منبولى ، ص ص ٦٣ - ٦٤)
٢ - جيمس هنري برستد ، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي ، ترجمة : حسن كمال ، الطبعة
الطبعة الثانية (القاهرة ، مكتبة منبولى ، ١٩٩٦ ، ص ٦٣)
٣ - السيد طه السيد أبو سعيدة ، الحرف والصناعات في مصر الإسلامية - من الفتح العربي حتى بداية
العصر الفاطمي (٢٠ - ٥٦٧ هـ / ٦٤١ - ١١٧١ م) ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٧٠ .

وفي العصر الفاطمي : حدث تطير مهم وبالغ في حرفة صناعة ودباغة الجلود بعد أن صار العمل بها منتشرا لأبلغ الحدود ، حيث صارت هناك أنواع نادرة جدا من الجلود ، التي يتم جلبها من إثيوبيا والنوبة . وكانوا يصنعون منها الصادل والنعال والخراطة الجغرافية وأيضاً كان يتم زخرفتها . وبشكل رئيسي يصنعون منها السرح لدواب الخلفاء والأعيان ، وفي خزائن القصر كانت هناك كميات هائلة من هذا السرح، مصنوعة من الجلد ومطعمة بالذهب والفضة والبعض منها كانت تتراوح قيمته ما بين ألف إلى سبعة آلاف دينار.^(١)

يتضح من ذلك أن صناعة الجلود ليست الصناعة الأولى التي لها أهمية في العصر الفاطمي لعدم توافر الجلود عند العرب ولكن اختلف الوضع من العصر الفاطمي حتى القرن الثامن عشر.

وفي القرن الثامن عشر : اشتهر الحرفيون المتخصصون بالقاهرة بصناعة الجلود وما يتعلق بها من صناعات أخرى ، وكانت مصر تشتري من الخارج كميات عديدة من الأحذية وبصفة خاصة من المغرب مثل النعال المغربية الصغراء دون أن يقوموا بتصدير شيء منها تقريباً ، الأمر الذي يشكل دليلاً على ضعف أحد فروع الأنشطة الحرفية المتعلقة بصناعة الجلود ، كما كان صناع الجلود معتبرين في العديد من الورش الصغيرة التي كانت تعمل في الوقت نفسه كذلك كحوانيت يباع بها الأحذية أو مستلزمات السروجية ، وكانت الأنواع المنتجة من الجلود متنوعة جداً، ويعد حرفيو الجلود من أفقر حرفي القاهرة.^(٢)

أما العصر الحالي : فإن صناعة الجلود مرتبطة في دهن السائح بمنطقة خان الخليلى ، فصناعة الجلود عامل جذاب للسائح من الناحية الفنية .

فالآن نجد أن صناعة الجلود بألوانها وأشكالها من أحذية وشنط وحافظه وغيرها ، متوفرة بكثرة وبأسعار متاحة، والسائح أكثر إقبالاً على صناعة الجلود وخاصة المنقوش عليها أشكال فرعونية تحاكي الماضي والتي تتميز بسحرها الخارق وتستخدم للزينة.^(٣)

١ - ل . أسيميتوفا ، تاريخ مصر الفاطمي " أبحاث ودراسات " ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٢٤ .
٢ - لنديريه ريمون ، الحرفيون والتجار في القاهرة في القرن الثامن عشر ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٩٥ .

3- Denise Ammoun ، Crafts of Egypt ، Op. Cit. ، P59 .

خامسًا: صناعة المعادن

التطور التاريخي لحرفة صناعة المعادن:-

العصر الفرعوني : لقد استخدم المصريون في وقت مبكر الحلي الذهبية والفضية لاعتقادهم في القوى السحرية الكامنة في هذين المعدنين ، كما استخدموا أيضًا الودع والأصداف في عصر البداري الذي يعود إلى ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد وحضارته التي تعد الأقدم في العالم. (١)

بلغت هذه الصناعة درجة عالية من الدقة ، ومن أهمها صناعة الجرار والأواني والكؤوس والأقداح والقصاع التي كانت تصنع من المرمر والشست والحجر السماقي وكانت تزين أحيانًا برسوم بشرية أو حيوانية ويضاف إلى هذه الصناعات صناعة الحلي والجواهر. (٢)

كما أن المصريين القدماء قبل عصر الأسرات ما بين عام (٤٠٠ - ٣٦٠٠ ق.م) برعوا في عمل لوحات تمليبية معدنية تجمع في شكلها بين أشكال الحيوانات وأشكال هندسية وبينها لوحة على شكل سلحفاة. (٣)

أما بالنسبة لصياغة الذهب فيعتقد أنها بدأت في عصر الأسرات ، ففي الأسرة الأولى (٢٤٠٠ قبل الميلاد) عثر على مجموعة من المشغولات الذهبية تتضمن أربع أساور غاية في الدقة والإتقان من حيث التصميم وتعدد خامات تنفيذها ، إذ إنها مؤلفة من الذهب والفيروز والعقيق ، هذا إلى جانب الكنز الذي عثر عليه في مقبرة " حتب - حرس " والدة الملك خوفو حيث عثر على مجموعة من القضة بها رسوم على شكل ذباب ضخمة ومرصعة بالفيروز واللازورد ، وقد اعتقد المصري القديم أن الحلي المصنوعة من الذهب تضيف على صاحبها صفة الخلود والبقاء ، وفي حالة ضعف القدرة الاقتصادية لدى المقتني كان يطلي بعض المعادن الأقل قيمة بطبقة من الذهب. (٤)

١ - عابدة خطاب ، موسوعة الحرف التقليدية بالقاهرة التاريخية ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى (أصالة لرعاية الفنون التراثية والمعاصرة ، ٢٠٠٤ ، ص ١٠٨) .

٢ - أنور عطية العدل ، نور الصناعات الصغيرة والحرفية في التنمية - دراسة ميدانية في بيئة المنشآت الصغيرة في مركز ومدينة المنصورة ، مرجع سبق ذكره ص ٢٣ .

3- A.J.Spencer ، Early Egypt - The Rise of Civilisation in The Nile Valley ، Op. Cit. ، P.28 .

٤ - عابدة خطاب ، موسوعة الحرف التقليدية بالقاهرة التاريخية ، مرجع سبق ذكره - ص ١٠٨ .

كما عرف المصري القدم البرونز وصنع منه وعاءً وُجد في مقبرة الملك (خاسيخموي) (Khasekhemwy) في أبيدوس يستخدم لغسل اليدين ، وتعتبر هذه أولى الأمثلة الحقيقية لمصوغات البرونز في عصر الأسرات الثاني في مصر وصنع المصريون القدماء عقدًا من الذهب والفيروز التركيوازي ووُجد على رأس امرأة في مقبرة في أبيدوس يرجع إلى عصر ما قبل الأسرات حوالي (٣٢٥٠ ق.م) .^(١)

فقد كان المصريون مهرة في صناعة المعادن منذ العصر الفرعوني وقد كشفت الحفائر عن أنواع مختلفة من البرونز والفضة والذهب مصنعة كالأواني والأباريق والحلقان والأسوار والخزف والأوتار والأجهزة والتماثيل وغير ذلك .

ولقد كان الصانع القبطي ماهرًا في زخرفة الأواني والأوتار المختلفة سواء بالتفريغ أم الحفر ، حيث إن القصص الديني قد لعب دورًا مهمًا في موضوعات الزخارف والزخرفة ، وإن كانت المناظر الدنيوية والأشخاص قد وجدت أيضًا مكانها بين هذه الزخارف مثل الراقصات والموسيقيين والحيوانات المختلفة .^(٢)

وتبع المصريون في استخدام الذهب والفضة والأحجار الكريمة في صناعة الحلبي ونحوي متاحف العالم عددًا كبيرًا من الأساور والعقود والخواتم والأقراط والقلائد والتيجان .

كما لعب الحلبي أدواتًا مختلفة في مصر ، فبالإضافة إلى انجذاب النشرب بالطبيعة للأشياء الجميلة ، فإن الحلبي كان له أهمية دينية وسحرية في العالم المصري القديم بحماية مرتديها من السوء .

كما أن معادن الزينة ليست واعدًا حديثًا على هذه الأرض ، وإنما عرفها الإنسان منذ كان ، واستخدمها كما هي . كما امتازت بألوان وأشكال مختلفة فمن تماثيل الفراعنة مثلًا نجد الفيروز في مكان العيون ، وظلت معادن الزينة تتداول بين أيدي البشر حتى عصر الحضارة الإسلامية .^(٣)

ولم يقتصر الاهتمام على المعادن والحلي بل عرف المصري القديم مجموعة من الأواني النحاسية في مقبرة إيدي في أبيدوس ، كما كانت تصنع الصنابير التي تصب

1 - A.J Spencer · Early Egypt - The Rise of Civilisation in The Nile Valley ، Op. Cit.P 29

٢ - محمد وسري دعبين ، "القاهرة سحر الشرق وعبق التاريخ - دراسة في أثروبولوجيا السياحة" ، مرجع سبق ذكره ، ص ٧٧ .

٣ - محمد فتحي عوض الله ، معادن الزينة (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٢ ، ص ١١٧) .

للشرا ب من النحاس ، ثم يصنع حسم الإناء بالطرق والدق عليه . وهذه الأواني المكتشفة في سفارة دليل على وجود صناعة النحاس في عصر ما قبل الأسرات (١)

وفي عصر الدولة الوسطى : (٢١٦٠ - ١٧٨٨ ق.م) فكان الصانع المصري يستمد من الطبيعة كثيراً من عناصرها الزخرفية ويضعها في قوالب مختلفة مثل زهرة اللونس ، ونبات البردي النخيل ، ونبات الخشخاش ، ويعتبر ما عنر عليه من آثار الأسرة الثانية عشر هو الأهم حتى الآن في تاريخ الفن المصري القديم من حيث دقة الصنع ورقعي الذوق (٢)

وفي العصر اليوناني والروماني : اشتهرت مصر والنوبة في هذين العصرين بمناطق الذهب مما يؤكد على قول ملك ما بين النهرين " توشراتا Tushratta " عن مصر (أما بلاد ينشر فيها الذهب مثل الغبار) ، لم تكن الفضة كالذهب فمراكز إنتاجها محدودة كما أن استخدامها كان قليلاً في العصور القديمة في صناعة الحلي ، كما أن شرائح الذهب والفضة السميكة التي كانت تصنع منها الحلي قديماً غالباً ما كان يتم تشكيلها باستخدام أدوات من البرونز أو الخشب أو العظم ، وقد بقي العديد من هذه الأدوات خالداً ، كما أن النحاس من أشهر المعادن التي استخدمت في صناعة الأنوات (كالأزميل المعدنية والسكاكين) وفي قطع ألواح الذهب وغيرها (٣)

لذلك اشتهر العصر الروماني بالعديد من الفنون منها كأس من الفضة المذهبة ، ويعد هذا الإناء من أجود وأندر ما تبقى من التراث الفني لمدينة الإسكندرية خاصة في مجال صناعة الأواني المعدنية ، إذ الزخرفة البارزة الدقيقة التي تزين الكأس من عدة مناظر، يفصل بينها أغصان شجر العنب ، ولكنها جميعاً تعبر عن موضوع من الموضوعات المحببة إلى الناس في الحقبة اليونانية الرومانية وهو جمع العنب وعصره ، ويقوم أكثر من طفل مجنح " كيوييد " بقطف العنب ووضعه في سلال من الخوص شهيداً لنقله إلى حوص العصور حيث يوجد هناك مجموعة من الساتير ، أتباع ديونيسوس " إله الخمر " يقومون بعصر العنب بأقدامهم . كما يوجد أيضاً طفلان مجنحان يستقبلان العصير في كأس

1 - Cynl Aldred ، Egypt to the end of the old Kingdom ، Op Cit ، P 58

٢ - عابدة خطاب ، موسوعة الحرف التقليدية بالقاهرة التاريخية ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٩ .
٣ - عزت زكي حامد قادوس ، فنون الإسكندرية القديمة (الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية منشأة المعارف ، ٢٠٠١ م ، ص ص ٣٣٥ - ٣٤١) .

يسمى " الكاشاروس " . بينما يظهر آخرون يقدمون العصور إلى ديونيسوس الذي يبدو متكئا في ظل شجرة . ملتفتا نحو حورية تعرف على القيثارة .^(١)

وفي العصر البيزنطي : تأثر المصاغ الشعبي بالديانة المسيحية الجديدة ورموزها مثل الصليب بأشكاله المتعددة : وأوراق الكروم وعناقيد العنب، وصور القديسين والرهبان وبعض الكلمات المسيحية . والمتحف القبطي زاخر مثل تلك النماذج الغنية .^(٢)

إن الفن القبطي كشف عن مصنوعات برونزية ذات طرز متشابهة في مختلف أنحاء مصر يدل على أن هذا الفن القبطي المبكر لم يكن ظاهرة محلية فحسب . ولا ينسى أن نضيف الأصناف الزخرفية في أشكالها الهندسية مثل الخطوط المتموجة والصلبان المعقوفة ، أو في صورها النباتية التي تمثل أغصانا مورقة طبيعية أو مصنوعة وأكاليل وأزهارا صغيرة . أو في صورها الحيوانية . منها ما هو على صورة أسد أو أرنب بري أو كلب يطارده غيره وكذلك التيجان على رؤوس الأعمدة الربعة الموجودة بالإسكندرية .^(٣)

وفي العصر الإسلامي : امتاز العصر الإسلامي برسوم هندسية اتصفت بها الفنون الإسلامية وهي التراكيب الهندسية ذات الأشكال النجمية المتعددة الأضلاع . والتي ذاعت في مصر واستخدمت في زخارف التحف النحاسية . وفي الصفحات الأولى المذهبة في المصاحف والكتب .

وقد أتقن المسلمون هذا النوع . وقد عنى العالم الفرنسي (بروجوان Bourgoin) بدراسة هذه الزخارف الهندسية المعقدة وتحليلها إلى أبسط أشكالها ويتجلى من دراسته أن براعة المسلمين في الزخارف الهندسية لم تكن تقوم على الموهبة الطبيعية فقط . بل كانت تقوم على علم وافر بالهندسة العلمية .^(٤)

كما استخدمت المعادن المتنوعة في شتى فروع الصناعات والحرف ونواحي الحياة المختلفة واستخدمت وسائل الزخرفة فيها بدقة وتنوع حيث استخدمت وسائل السبك والتطريق ، والتقيبب والتفريخ ، والتعشيق والترصيع والحفر والتلوين بالمينا ... إلخ .

1 - Francisco Jose Martin Valentin & other • Egypt Cradle of Civilization ,Op. Cit. ,P 20 .
٢ - عابدة جطاب ، موسوعة الحرف التقليدية بالقاهرة التاريخية ، مرجع سبق ذكره ، ص ١١٠ .
٣ - ثروت عكاشة ، الفن المصري ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٤٠٣ .
٤ - ثريا نصر ، التصميم الزخرفي - في الملابس والمروشات ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢١ .

ومن مظاهر الإبداع الفني في العصر الإسلامي صندوق مصحف من الخشب المصنع بالنحاس ومرصع بالذهب والفضة وله عطاء منبت بعصلتين ، ويقوم على أربعة أرجل ثلاثة منها مجددة وواحدة أصلية وقد صنع هذا الصندوق لكي يحفظ به ثلاثين جزءاً من القرآن ومن ثم فهو مقسم من الداخل إلى حزنين رئيسيين كل منهما يسع خمسة عشر جزءاً ، الجزء الداخلي للغطاء والصندوق مغطى بالورق المزخرف بزخارف ملونة بها آثار تذهيب الكتابة بصندوق المصحف كما أضيف حول جوانب صندوق المصحف شريط عريض به كتابة نسخية تصم آيات قرآنية من سورة البقرة (آية ٢٥٥) وسورة آل عمران وسورة الواقعة .^(١)

احتلت صناعات المعدن أعلى مكانة في الفن لفترة طويلة في العصر الإسلامي ، إذ قدمت أنواع الزخارف والتي كانت لها أثر كبير على الأشكال الزخرفية التي تم تسخيرها واستخدامها في الفنون الإسلامية الأخرى مثل صناعة الخزف ، وأعطت المعادن الثمينة التي استخدمها الصناع في ذلك الوقت مكانة متميزة بين العمال في باقي الحرف ، كما أن النقش على الفضة والذهب التي كانت أميز الفنون في ذلك الوقت ربما في القرن الثالث عشر .^(٢)

وعندما دخل العرب مصر وجدوا بها صناعة الحلي راقية ، تعتمد على الصباغ والفضة والذهب الذين أتروا في الفنون الإسلامية في عصورها الأولى إلا أن العرب سرعان ما صبغوا تلك الصناعة بطابعهم الديني ، فخرحت الحلي بشخصية جديدة ذات طابع إسلامي رغم تأثرها بالفن الساساني والبيزنطي .^(٣)

ولم يكن التجميل بالحلي مقتصرًا على النساء ، فالرجال في مصر كانوا يستخدمون الحلي أيضًا ، حتى محي المسيحية إلى البلاد ، وعندما تحول كثير من أهلها إلى الديانة الجديدة ، فإن مظاهر النذح والترف ومنها الحلي أصبحت أقل شيوعًا وحل محلها مظاهر العرق والتقوى والتدين ، فصنعت الحلي من مواد أرخص تحمل رموزاً مسيحية ، مثل

1 - Francisco Jose Martin Valentin & Othar - Egypt Cradle of Civilization - Op. Cit. - P.81 .

2 - Robert Irwin - Islamic Art (London - Laurence king publishing - 1997 - P 145)

٣ - عيادة خطاب ، مرسوعة الحرف التقليدية بالقاهرة التاريخية ، مرجع سبق ذكره ، ص ١١ .

الصليب والتمائم ، وبعد مجيء الإسلام إلى مصر ، حرم على الرجال خاصة التزين بالحلي الذهبية واستمروا في استخدام مواد بديلة كالفضة.^(١)

وفي العصر الفاطمي : كان تصنيع المعادن يحتل المكانة الثانية بعد صناعة النسيج ، فالذهب والفضة لازمان لصناعة سك النقود وإعداد الأدوات الخاصة بإظهار العظمة والأبهة مثل العقود والأساور والخواتم، ولتزيين السرج والسيوف والكتب ، وكان هناك أيضا استخدام واسع للأواني الفضية . حيث يكثر الحديث عن تلك المصنوعات في مصادرها عند وصف ثروات الفاطميين ، أما صناعة النحاس والبرونز فكان من المعتاد إعداد حاجات ولوازم القصور منها ، وكانت تشكل على هيئة طيور وحيوانات ، وعلى ما يبدو فإن هذه الصناعة كانت تتم بإدماج هاتين المادتين معا، وهناك الأواني النحاسية التي يتم تطعيمها غالبا بالذهب أو الفضة ، حيث كان فن تطعيم هذه المعادن واسع الانتشار في القاهرة.^(٢)

وكذلك ازدهرت صناعة التحف المعدنية في العصر الفاطمي وقام المصريون بحلب معدن النحاس من أصفهان . وقد صنع فنانون العصر الفاطمي الأواني النحاسية والبرونزية على أشكال الحيوانات ، وكانت في الغالب أباريق من النحاس الأصفر ومن التحف المعدنية التي كانت تحفل بها القصور الفاطمية مما يدل على مهارة الصانع وتفوقهم في صناعة تماثيل البرونز التي كانت تستعمل أحيانا مناخر أو صنابير للأواني.^(٣)

ومن المصنوعات المعدنية في العصر الفاطمي صحن من الخزف مزخرف بالبريق المعدني فوق الطلاء الزجاجي ، الزخرفة تمثل حيوانا خرافيا مجنحا في فمه فرع نباتي يحيط به شريط عريض من زخرفة نباتية محورة، يحمل الصحن توقيع صانعه الخزاف "مسلم بن الدهان".^(٤)

أما صناعة الحلي فلم تقتصر على أنواع أدوات الزينة الخاصة بالنساء وإنما كانت أدوات كثيرة تصنع من الذهب وتطلى بمختلف أنواع الجواهر والبواقيت والزمرد ، وهي لا شك توضح لنا مدى استخدام الذهب والفضة ومظاهر الترف لدى الفاطميين ،

1 - [http:// www.sis.eg](http://www.sis.eg) 2008/3/28

٢ - ل. أنسيمونوفا ، تاريخ مصر الفاطمي " أبحاث ودراسات " ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٢١ .
٣ - العبيد طه المبيد أبو سنيرة ، الحرف والصناعات في مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي (٣٠ - ٥٦٧ هـ / ٦٤١ - ١١٧١ م) ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٦١ .

4 - Francisco Jose Martin Valentin & other . Egypt Cradle of Civilization , Op. Cit. . P 87 .

وحرصهم على اقتناء التحف الثمينة من جهة، كما تكشف لنا من جهة أخرى عن المهارة الفائقة التي بلعها صناع الحلي والجواهر في عصرهم .

كما ظهرت مهارات وإبداعات كثيرة في صناعة الأواني الفضية والذهبية ولكن لسوء الحظ ، فقد تم صهر هذه الأواني رفيعة الذوق من أجل إعادة استخدام معادنها الثمينة ، ولهذا فإن معظم الصناعات المعدنية الجميلة والتي تعرض في المتاحف ما هي إلا قطع معدنية مرصعة بالذهب والفضة أو حتى نحاسية وفي بعض الأوقات تم انتزاع هذه المعادن التي رصعت بها هذه الأعمال الفنية تاركة أماكنها خالية .^(١)

وفي العصر الأموي والعباسي : ظلت صناعة المعادن وزخرفتها في العصرين الأموي والعباسي حرفة الأقطاب في مصر ، حيث استخدموا كثيراً من الأدوات المعدنية في كنائسهم وذلك خلال القرن الأول الهجري، امتدت مظاهر النهضة الصناعية إلى المعادن ، حيث راجت صناعة الحلي والأدوات النحاسية فقد ظهرت بوضوح في زخرفة التحف المعدنية عن طريق الحفر والتخريم وتشكيل الأواني المصنوعة من النحاس .^(٢)

وفي العصر الأيوبي : تميزت مشغولات العصر الأيوبي (١١٧١ - ١٢٥٠ م) بالنقش البارز على شكل الطيور والحيوانات ، والأدعية وبعض العبارات الدينية الأخرى ، وصناعة الشمعدان من النحاس المطعم بالذهب والفضة، وقد زين بأشرطة وحمائم مستديرة مملوءة برخارف حيوانية وأدمية ، ويحيط بها زخارف عربية مورقة متأثرة إلى حد كبير بالزخارف التي كانت سائدة في العصر الفاطمي^(٣)

ومن الجدير بالذكر أنه منذ القرن الثاني عشر كانت البلاد الإسلامية تعاني من فقر في معدن الفضة ، ولهذا استخدم أسلوب ترصيع المعادن كأسلوب لنقاء المعادن لفترة أطول ، ولم يكن هذا سببه ندرة المعادن الثمينة فقط ، فأصبح المسلمون الوارعون يشكرون من أوعية مرصعة بدلاً من أوعية ذهبية أو فضية خالصة ، ومن ضمن الصناعات المزخرفة التي فضلها العالم الإسلامي أحواض واسعة وشمعدانات ومصابيح .. وغيرها .^(٤)

1- Robert Irwin . Islamic Art . Op. Cit. .P 146 .

٢ - السيد طه السيد أبو مديرة ، الحرف والصناعات في مصر الإسلامية - من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي (٢٠ - ٥٦٧ هـ / ١٤١ - ١١٧١ م) ، مرجع سابق ، ص ١٥٥ .

٣ - إعادة خطاب ، موسوعة الحرب التقليدية بالقاهرة التاريخية ، مرجع سبق ذكره ، ص ١١٠ .

4- Robert Irwin . Islamic Art . Op. Cit. .P 147

وفي العصر الملوكي (١٢٥٠-١٥١٧م) شكل الحلي طريقة الأسلاك المشبكة التي تشبه الشفتشي ، والمفرغة كالدانتيل ، كما تميزت أيضاً باستخدام "الرنوك" التي عرفت عند الممالك والواضحة في تشكيل بعض الخواتم الفضية والأساور الذهبية. (١)

وفي العصر العثماني: وبعد الغزو العثماني تدهورت الفنون المصرية الإسلامية نتيجة لنقل معظم الحرفيين إلى الأستانة ، فانخفض مستوى الإنتاج الأصيل ، وخضعت البلاد للتأثير الغربي والتقاليد العثمانية. (٢) وقد أدى هذا التدهور إلى اندثار العديد من الصناعات المعدنية كالحلي والمصنوعات النحاسية ، وترتب على ذلك تدهور الحالة الاجتماعية والاقتصادية للحرفي في هذا العصر

وفي القرن الثامن عشر: تعددت حرف الصناعات المعدنية بالقاهرة إذ ضمت تسع عشرة حرفة يعمل بها ٣.٥٠٩ حرفياً ، ولكن أهميتها ظلت متفاوتة : حرفة النحاس وفرت معظم الأدوات المنزلية التي توارثها أربابها الحرفيون ، وفي نهاية القرن الثامن عشر استوردت مصر من أوروبا كميات كبيرة من المنتجات المعدنية :

أسلحة " وخردوات معدنية " (الأواني النحاسية والحديدية ، وإبر الخياطة ، والمسامير ، ومبارد ، وسكاكين ، وأسلاك حديد ، وهذا يفسر الرغبة المعلنة للعديد من الحكوات المماليك الحاكمين في استجلاب "حدادين" من أوروبا متخصصين في صهر المدافع التي لم يكن الحدادون المحليون أكفاء لصناعتها. (٣)

وفي القرن التاسع عشر: كان الصناع الأرمن المهرة الذين هاجروا إلى مصر في ذلك القرن لهم الفضل في نقل الأساليب التركيبية والأوربية في صناعة الحلي الشعبي . وقد تميز هذا العصر باستخدام السلاسل الطويلة المنتوية بالأحذية الأسطوانية المعلقة ، أو اللعب التي بداخلها بعض الآيات القرآنية ، وما زالت هذه المصنوعات مستخدمة في مختلف البيئات المصرية والبدوية والريفية كحلي حتى الآن إلى جانب استخدامها كتماائم وتعاويذ. (٤)

أما العصر الحالي: فقد نجد أن السائح هو الذي يحدد طريقة التصميم الحرفي للعمل الذي يصنعه ، فإنه يعتمد على نوع واحتبارات السائح ومدى إقباله على هذا الشيء

1- Francisco Jose Marín Valentin & Other . Egypt Cradle of Civilization .Op. Cit. .P.83

٢ - عيادة حطاب ، موسوعة الحرف التقليدية بالقاهرة التاريخية ، مرجع سبق ذكره ، ص ١١١ .

٣ - أنثريه ريمون ، الحرفيون والتجار في القاهرة في القرن الثامن عشر ، ترجمة ناصر أحمد إبراهيم ، وأخرون ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٠٠

٤ - عيادة حطاب - موسوعة الحرف التقليدية بالقاهرة التاريخية - مرجع سابق - ص ١١١ .

أولاً . كما أن التذكارات الفرعونية هي التي احتاحت السوق . لذلك حرص السائح على اقتناء أي قطعة من الحلي ذات الطابع الفرعوني .^(١)

وبناءً على ذلك وجدت الدراسة أن الحرفيين يقدمون لزبائنهم قطعاً مدهشة من الحلي كالأحذية والأساور والأقراط والحلقات . وبما أن السياح يحنون اقتناء هذه القطع . فقد بدأ الحرفيون في تقليديها وكتابة أسماء الملوك والفراعنة عليها مثل خوفو ورمسيس الثاني .. الخ ، وبعد ذلك تطور الموضوع وبدأ السائح يطلب تسجيل اسمه على هذه القطع ، مع أنها مكلفة . كما يقوم الحرفيون بصناعة هياكل أخرى من الذهب كرموز مثل " الختم السوداء " وهي مثال على إعادة النعث ، و" الأثك " وهي قطعة صليب على شكل حرف T يرمز إلى الحياة والصحة ويعرف باسم " مفتاح الحياة " .

كما اشتهرت مصر بالعديد من المواقع المتميزة بإنتاج الحلي والمصاغ الشعبي المستوحى من التراث العربي والإسلامي مع احتفاظ كل موقع بمناق خاص موزع على الخريطة الجغرافية لمصر من سيوه والواحات الخارجية والداخلية إلى محافظات الوجه القبلي والوجه البحري وشبه جزيرة سيناء لتكون جزءاً أصيلاً من شخصية المرأة في كل إقليم ، ويقوم قسم الحلي والمصاغ الشعبي في مركز الحرف بوكالة الغوري بدوره المهم نحو إعادة صياغة الحلي التراثية القديمة .

الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لدى الحرفيين والحرف :-

١ . ارتبط نشاط الحرفي ارتباطاً قوياً بالتنظيم الحكومي للدولة المصرية، وكان الحرفيون يعملون في معابد الكهنة وفي داخل البلاط الفرعوني، كما لم يكن هناك تخانس في العمالة الحرفية سواء من حيث العرقيات أم من حيث اشتغال العمالة على حرفيين أحرار وآخرين أرقاء أو أقنان، فالأحرار لا يتساوون مع العبيد من حيث المعاملة أو العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع ، وكان تباين مستوى المعيشة ونوعية الحياة لفئة الحرفيين تبعاً للتباين في الأوضاع الوظيفية لمستوى المعيشة ونوعية الحياة للحرفيين العاملين داخل أروقة البلاط الفرعوني أفضل ممن سواهم .^(٢)

٢ . كان العاملون في العصر الروماني في ميدان نسج الكتان الممتاز يمثلون أرستقراطية صناعية حيث كانوا يتوارثون المهنة جيلاً بعد جيل، وقد تعاون النساجون في تدريب أبناء بعضهم البعض من صلبة وفتيات ، الأحرار منهم والعبيد وكان فترة التدريب

١- Denise Ammoun ، Crafts of Egypt ، Op Cit ، P14

٢ - اعتماد علام ، الحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغير ، مرجع سبق ذكره ، ص ٧٧

- من سنة إلى ثلاث سنوات ويمكن أن تطول الفترة لسنة أو سنتين إضافيتين، فهم تعلموا صناعة الفخار والأدوات المعدنية ومهروا في فن التطوير . وقد غطى رجال هذه الصناعات والحرف أهم الاحتياجات الضرورية لاستمرار الحياة اليومية .^(١)
٣. قد كان للطوائف في العصر العثماني ناحية اجتماعية نهيبية فاوجدت بين أهل الصناعة نوعاً من الارتباط والتعاون ، وكانت تحرص على أن تحفظ لهم مستوى معيناً من الأخلاق والحياة ، وفي بعض الأحيان أشرف رجال الإنكسارية على بعض الصناعات والمهن في مصر ، وعلى الرغم من أعمال الإشراف والتنظيم التي قامت بها النقابات إلا أنها كانت عاملاً من عوامل الجمود .^(٢)
٤. إن الفتح العثماني الذي حول القاهرة من سلطنة إلى ولاية ، قد وجه ضربة قاضية لكثير من المهن الحرفية ، كما أن العمل في مجال حرف النحاس والخشب والخزف والزجاج وتجليد الكتب ، كان مزدهراً في العصر المملوكي أما العصر العثماني فقد أصابه التدهور ، بسبب عدم الإتقان ورياءة تشطيب المنتج ، واستخدام المواد الخام الرخيصة في الإنتاج وتقليد المنتحات الأحدثية ومن أسباب التدهور استيراد المنتحات الأوربية التي حلت محل منتجات أخرى لم تعد تعرف صناعتها بالطوائف المحلية.^(٣)
٥. ويحدثنا التاريخ عن السلطان سليم الذي نقل الحرفيين المصريين ومنتجاتهم على ظهور السفن إلى اسطنبول فتوقف خمسون حرفة على الفور ، مما أدى إلى اختفاء العديد من الحرف في مصر .
٦. شهدت مصر أثناء الحملة الفرنسية قيام بعض الصناعات الحرفية التي فرضت نفسها على ساحة المهن الحرفية في مصر ، ولكن سرعان ما انهارت بعد خروج

١ - بانثالي لويين ، الحياة في مصر في العصر الروماني (٣٠ ق م - ٢٨٤ م) ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٥٠ - ١٥١ .

٢ - ثريا نصر ، التصميم الزخرفي في الملابس والمفروشات ، مرجع سبق ذكره ، ص ١١١ .

٣ - أندريه ريمرت ، الحرفيون والتجار في القاهرة في القرن الثامن عشر ، ترجمه : ناصر أحمد إبراهيم ، وآخرون ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٦٧ .

الحملة من مصر (١٧٩٨ - ١٨٠٦م) وذلك لأن المصريين لم يستطيعوا اكتساب فنون هذه الصناعات ومهاراتها لقصر فترة الوجود الفرنسي.^(١)

٧. جاء عصر محمد علي ليشهد إنجازات صناعية واضحة وملموسة إلا أنها تركزت في المصانع الكبيرة دون اهتمام بالصناعات الصغيرة التي سعى إلى وأدها من خلال سياسة الاحتكار. حيث كانت الحكومة تمنح الصناع المواد الأولية بثمن محدد وتطالبهم بصنعها في مدة محددة ثم تقوم بشراء هذه المنتجات المصنعة بثمن بخس وتختتمها بخاتم الحكومة لإحكام الرقابة وبالتالي تصبح أي سلعة لا تحمل خاتم الحكومة (سلعة براني) وتتعرض نتيجة لذلك للمصادرة، ولم تستمر هذه السياسة طويلاً فسرعان ما انهارت الصناعة المصرية مع نهاية عصر محمد علي بانتهاء مشروعاته العظيمة بسبب التدخل الأجنبي، واستمر تدهور الصناعات خلال عصر خلفاء محمد علي بالرغم من إلغاء نظام الاحتكار نظراً لزيادة الضرائب ومنافسة البضائع الأجنبية وعدم وجود حماية حكومية والافتقار إلى رؤوس الأموال وعدم توافر الخبرة والدراية الفنية.^(٢)

٨. هيأت ظروف الحرب العالمية الثانية فرصة كبيرة لانتعاش الصناعات الحرفية مرة أخرى وكذلك ظهور صناعات جديدة فلقد قيدت ظروف الحرب من تصدير معظم السلع الأوربية إلى مصر، ومن ثم كان السوق المصري مفتوحاً أمام الأنشطة الحرفية والصناعات القومية لتغطية احتياجات المواطنين من مستلزمات وسلع خدمية.^(٣)

٩. استمرت الصناعة المصرية في التدهور حتى جاءت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م التي وجهت رعايتها واهتمامها وبعمها للقطاع الصناعي لأهميته البارزة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للدولة، فلم تكن هناك قبل الثورة أية برامج أو خطط واضحة لرعاية ودعم هذه الصناعات الصغيرة باستثناء تدريب بعض الناشئين على بعض

١ - أنور عطية العدل ، دور الصناعات الصغيرة والحرفية في التنمية- دراسة ميدانية في بيئة المنشآت الصغيرة في مركز ومدينة المنصورة، مرجع سبق ذكره ص ٢٥.
٢ - أنور عطية العدل ، دور الصناعات الصغيرة والحرفية في التنمية- دراسة ميدانية في بيئة المنشآت الصغيرة في مركز ومدينة المنصورة، مرجع سبق ذكره ص ٢٦.
٣ - اعتماد علام ، الحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغير ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩٦ .

الصناعات والحرف المحدودة وبقيام الثورة بدأ عهد جديد شدد الاهتمام بقطاع الصناعة بصفة عامة والصناعات الصغيرة بصفة خاصة. (١)

١٠. ينعي ألا يعيب عن الدهن أثر سياسة الاحتلال البريطاني الذي كان حريصاً على أن تظل مصر مزرعة للقطن الذي تحتاج إليه صناعه النسيج البريطانية وأن تظل مصر في نفس الوقت سوقاً لتصريف المصنوعات الإنجليزية فهذه السياسة بطبيعة الحال كانت تشجع قطاع الزراعة مع إهمال قطاع الصناعة بصورة كلية (٢)

١١. مرحلة تطبيق النظام الاشتراكي (١٩٦٢ - ١٩٧٢) تميزت تلك المرحلة التاريخية بما جعلت به من قوانين ونظم أثرت إلى حد بعيد على الاتجاهات الإيجابية لفئة الحرفيين نحو المشاركة في المشروعات الصناعية في القطاع العام على وجه الخصوص وليس أدل على ذلك من :
أولاً: هجرة عدد كبير من أفراد تلك الفئة ، وترك حرفهم الأصلية والاشتغال في المشروعات الصناعية الكبيرة .

ثانياً: انخفاض عدد الحرفيين المشتغلين في النشاط الصناعي الخاص .

ثالثاً: تدل إحصائيات عام ١٩٦٧ على انخفاض عدد المنشآت الحرفية في بعض محالات النشاط الاقتصادي والتي كانت موجودة عام ١٩٤٧ مثل صناعة النسيج، وزادت عدد المنشآت الحرفية في عام ١٩٤٧ كصناعة الملابس والمنسوجات الجاهزة والأحذية. (٣)

١٢. إن القوانين الاشتراكية التي أعلنتها الدولة المصرية كانت لها أثر كبير في التحولات السابقة التي حدثت في فئة الحرفيين في مصر ، ومن ثم يتضح مدى تأثير العوامل السياسية في عزوف بعض أفراد تلك الفئة عن ممارسة الحرف واتجاههم نحو الاشتغال في شركات القطاع العام بنوعها الإنتاجي والخدمي مما كلفته تلك القوانين من تأمين ومعاش وتعويضات في حالات العجز، وقد يرجع انخفاض عدد الحرفيين المشتغلين بحرفهم الأصلية إلى عدة عوامل :

-
- ١ - أتور عطية العطل ، دور الصناعات الصغيرة والحرفية في التنمية. دراسة ميدانية في بيئة المنشآت الصغيرة في مركز ومدينة المنصورة، مرجع سبق ذكره ص٢٨.
 - ٢ - أسور عطية العدل ، دور الصناعات الصغيرة والحرفية في التنمية. دراسة ميدانية في بيئة المنشآت الصغيرة في مركز ومدينة المنصورة، مرجع سبق ذكره ص٢٦
 - ٣ - اعتماد علام ، الحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغير ، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٢ .

أولاً: سيطرة الدولة واحتكارها لبعض المواد الأولية المهمة لصناعات الكبيرة
ثانياً. اهتمام الحكومة بتنمية بعض الصناعات قومياً مثل صناعات النترول والفحم
وغيرها بهدف زيادة العائد القومي. (١)

١٣. من عوامل ضعف الحرف اختراق المنتج الأوربي. وقد يعد في بعض الحالات سبباً
وليس نتيجة لتدهور الحرف المصرية ، وكان استهلاك الأقمشة الأوربية الفاخرة
منتشراً في مصر منذ العصر المملوكي، ولكن في العصر العثماني انتشر بين السكان
استهلاك الأقمشة العادية المستوردة من إنجلترا وفرنسا حتى بلغت قيمتها في نهاية
القرن الثامن عشر أكثر من نصف قيمة الواردات المصرية من أوروبا، وتصيداً بلغت
١٦٢ مليون نارة. (٢)

١٤. لقد كانت القاهرة في أواخر القرن ١٩ م من أكبر المراكز الصناعية حيث تجمع
الصناع في أحياء يختص كل منها بلون من الحرف، فتجمع في حي الجمالية صناع
وتجار التبغ والعاج، وفي حي السكرية صناع وتجار العاكهة المجففة وفي حي السروجية
صناع السروج والبرادع والأحذية، وكان حي خان الخليلي مركزاً لبيع للأقمشة
الشرقية والسجاد، فقد كانت هذه الحرف مقصورة على وريش خان الخليلي ، التي
يسودها نظام الصدية فهو يخضع للتقلبات الاجتماعية ، فترتفع الأسعار وتنخفض
الأحور وتسوء الصنعة تحت ضغط السرعة وتختفي أنواع من الحرف ، حتى إن معظم
شيوخ الصنعة كانوا لا يجدون عملاً، من هنا برزت فكرة إنشاء مشاغل للحرف
التقليدية بوكالة الغوري سنة ١٩٥٨ ، باعتبارها من معالم هويتنا المحلية. (٣)

الخلاصة :-

إن حاجة الإنسان للحرف وضرورة إشاعها أدت إلى ظهور المنتجات الحرفية ،
ومن هنا تكونت المجتمعات وتعددت معها الحرف مثل حرفة الفخار والمعادن
والمنسوجات والجلود... وغيرها .

١ - اعتماد علام ، الحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغير ، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٤ .
٢ - أندريه ريموت ، الحرفيون والتجار في القاهرة في القرن الثامن عشر ، مرجع سبق ذكره، ص ٣٦٩ .

٣ - المرجع السابق نفسه، ص ٢٦ - ٢٧ .

وقد تعتبر الحرف التقليدية المسماة الأولى للحاسب الفني في الثقافة الإسلامية ، التي وصلت بها إلى أقصى درجات الكمال حيث يتم اللقاء السعيد بين المتعة والمنفعة والعنور الجميلة والفنون التطبيقية ، فقد أصبح هذا النشاط الإبداعى العرید رمزاً لسحر الشرق ، حيث يصل فيه العمل اليدوي إلى درجات عالية من الجمال والانتقان . كما تبين أن القيم الجمالية التي وصلت إليها مواهب الحرفيين المصريين ، تناظر ما وصل إليها أقرانهم من التشكيليين .

وينبغي أن نشير إلى أن الحرف المزخرفة :

(كالمشغولات النحاسية كالصواني والأواني والأباريق والحفر والتطعيم والتكفيت بخيوط العضة ، والزجاج الملون المعشق بالجص أو ما يسمى " بالشمسيات " و"القمريات" وهي نوافذ علوية تنفذ من خلالها أشعة الشمس هادئة بهيحة فتشيع جوا من الراحة والهدوء ، والتطعيم بالصدف الذي يدخل في صناعة علب الحلوى وما يسمى بالشكومية على درجة عالية من الدقة) ، تعمل على الجذب السياحي من خلال المهرجان الدولية ، حيث يقوم الحرفيون المصريون المهرة بعملهم المثير أمام جماهير المعينين في الدول التي يذهبون إليها في أوروبا وأسيا ، وقد استضافت مصر لأول مرة عام ١٩٩٥ المهرجان الدولي " للحرف التقليدية " وأقيمت ندوة دولية في تلك المناسبة ، وفي العام التالي سنة ١٩٩٦ استضافت المركز القومي للفنون التشكيلية المهرجان العربي الأول للحرف التقليدية ، وفي حلال الندوة التي عقدت على هامش المهرجان تلورت الخطة الإستراتيجية لتنمية تلك الحرف في الدول العربية .

لا شك أن العصور التي عرضناها في هذا الفصل رسخت منحى الارتقاء والاندثار في مجال الفنون الحرفية ، ويعتبر العصر الفرعوني والعصر العاطمي وعصر محمد علي من العصور التاريخية التي تركت بصمات إيجابية سواء في الجوانب السياسية أم الاقتصادية أم الاجتماعية على المجتمع المصري ، بعكس العصر العثماني وفترة الاحتلال البريتماني وغيرها، والتي شكلت الانهيار تحت وطأة الأزمات الاقتصادية، وكانت منعطفاً رديئاً في الإنتاج الفني وتدهوراً كبيراً في الحرفة المصرية .. وهذه الأحداث التاريخية لم تمنع من وجود الشخصية المستقلة للحرفي المصري .